[التذييل ، وقيمته التفسيرية
في سورة الشورى]

د٠ محمد سعيد مصطفى الغزال(*)

المقدمة :

[الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا] الكهف ١ ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدًا عبده ورسوله.

وبعد

فإن أجل ما صرفت إليه العقول والقلوب والأفهام هو العناية بكتاب الله – تبارك وتعالى– قراءةً وحفظاً ، وتدبراً وتفسيراً وفهماً ، ومن أفضل العلم العلم بالله – تبارك وتعالى– عن الله عز وجل ، وقد أكرم الله تبارك وتعالى المؤمنين بالقرآن الكريم هدية الخالق إلى أصفيائه من خلقه ، أنزله إليهم هادياً ، ومنيراً : [الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ] إبراهيم ١ ، هذا الكتاب أنزله الله – تعالى– على رسوله [كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ] ص ٢٩ .

– وقد فضل الله –تعالى – نبيه محمداً بأن أعطاه القرآن الكريم فيه المنهج الإلهي الخاتم ، حتى إن النبي وهو يتحدث عن القرآن الكريم وما فيه أبان عن فيض كرم الله – تعالى– عليه بما ورد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: "إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَأْدُبَةُ اللَّهِ، فَخُذُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ شَيْئًا أَصْفَرَ مِنْ خَيْرٍ، مِنْ بَيْتٍ لَيْسَ فِيهِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ شَيْءٌ ، وَإِنَّ الْقَلْبَ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ

(*) المدرس بجامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا .

شَيْءٌ خَرِبٌ كَخَرَابِ الْبَيْتِ الَّذِي لَا سَاكِنَ لَهُ "[1] ، وقد تنزلت سورة الشورى على النبي الخاتم – صلى الله عليه وسلم– في مكة لإرساء قواعد العقيدة الهامة لبناء الأمم ، وجاءت في فترة عصيبة للدعوة والداعية ؛ فجاءت على أسلوبٍ عالٍ من البلاغة والبيان ، لتتسق الحقائق التي تعرضها مع الأسلوب البديع الذي يحمل تلك المعاني.

- وقد كان من سابغ فضل الله – تعالى – عليّ أن مَنَّ عليَّ منذ نعومة أظفاري بمعايشة كتاب الله – تبارك وتعالى– ، وقد استخرت الله – تعالى– في كتابة بحث حول التذييل القرآني ؛ فوقع اختياري على هذه السورة الكريمة ، وبيان دقائق هذا العلم الواردة في هذه السورة ، وشرح الله – تعالى – له صدري ؛ فشرعت في ذلك مستعيناً بالله – تعالى– على الإبحار في بحر القرآن الكريم لعل الله – تعالى– يجعله شافعاً لي في الآخرة .

- **وقد جاء منهج البحث كما يلي :**

- اعتمدت **المنهج الوصفي التحليلي** في الدراسة.

- قسمت البحث إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة ، ثم فهرس جامع لموضوعات البحث .

- أما **المقدمة** فأذكر فيها أهمية الموضوع ومنهج البحث وطريقته .

- **وأما المبحث الأول:** فقد جاء مبحثاً تمهيدياً ؛ تحدثت فيه عن ظاهرة التذييل القرآني ، وقمت بالتعريف بالسورة: موضوع البحث ، سورة الشورى.

---

(١) مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي) ٢٠٨٣/٤ رقم ٣٣٥٠ ، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: ٢٥٥هـ) ، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني ، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ – ٢٠٠٠م.

- **المبحث الثاني** : وهو المبحث التطبيقي للدراسة.
- ثم جاءت الخاتمة التي أوضحت فيها أهم ماتوصلت إليه من توصيات عامة خرجت بها من الدراسة موضوع البحث.
- ثم ختمت البحث بفهرسٍ جامع لموضوعات البحث الكريم.

* *

[التذييل ، وقيمته التفسيرية في سورة الشورى]

وفيه مبحثان:

* المبحث الأول المبحث التمهيدي للتذييل ، والتعريف بسورة الشورى.

* المبحث الثاني : المبحث التطبيقي للتذييل في سورة الشورى.

***المبحث الأول المبحث التمهيدي ، وفيه مطلبان:**

– المطلب الأول: حول التذييل القرآني ، وفيه خمسة مسائل .

– المطلب الثاني : حول سورة الشورى وفيه مسألتان.

المطلب الأول : التذييل القرآني :

– المسألة الأولى : التذييل لغة ، واصطلاحاً.

– التذييل لغةً : قال العلماء : " ذيل كل شيء آخره ، والجمع أذيال وذيول"(١).

التذييل في الاصطلاح :ورد في كتب البلاغة أن التذييل هو أحد أوجه الإطناب ، وعبروا عنه بقولهم : " تعقيب الجملة بجملة أخرى تشتمل على معناها توكيداً لمنطوقها، أو لمفهومها(٢) .

---

(١) المخصص ١/٣٩٤ ، المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: ٤٥٨هـ) ، المحقق: خليل إبراهيم جفال ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م ، وانظر لسان العرب ١١/٢٦٠ ، المؤلف: محمد ابن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) ، الناشر: دار صادر – بيروت ، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ.

(٢) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة ٣/٢٠٥ ، المؤلف: محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى: ٧٣٩هـ)، المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي ، الناشر: دار الجيل – بيروت ، الطبعة: الثالثة. عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ١/ ٦١١ ، المؤلف : أحمد بن علي ابن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين السبكي (المتوفى: ٧٧٣ هـ)، المحقق: الدكتور عبد الحميد هنداوي ، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣م.

– وجاء تعريفه في علوم القرآن بقولهم: "أن يؤتى بعد تمام الكلام بكلام مستقل ، في معنى الأول ؛ تحقيقاً لدلالة منطوق الأول أو مفهومه ليكون معه كالدليل ؛ ليظهر المعنى عند من لا يفهم ؛ ويكمل عند من فهمه ؛ كقوله – تعالى: [ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا]سبأ ١٧، ثم قال عز من قائل: [وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ] ،أي هل يجازى ذلك الجزاء الذي يستحقه الكفور إلا الكفور ، فإن جعلنا الجزاء عاماً كان الثاني مفيداً فائدة زائدة ،وهي تذييل لما سبقها ، ومنه قوله– تعالى–: [وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا]الإسراء ٨١.

قوله تعالى: [وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ] الأنبياء ٣٤،و قوله–تعالى–: [ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ، إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ] فاطر ١٣ ، ١٤ ؛ فقوله: [وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ] تذييل لما سبقها في الآية الكريمة. ومنه قوله–تعالى–:[ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ}المؤمنون ٤٥ ، ٤٦، فقوله –تعالى–: [فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ] هو تذييل لما قبلها(١) ، وقد زاد بعض العلماء ضرورة أن يكون التذييل ختاماً لآيةٍ ، أو لآيات بياناً لمعنًى ، أو دفعاً لإيهام ، أو اضطراب (٢).

*** المسألة الثانية : أنواع التذييل في القرآن الكريم :**

*** <u>أولاً: نوع يجري مجرى المثل</u>:** وهذا النوع هو الذي يأتي بمعنًى عام يفيد حكماً كلياً يمكن له أن ينفصل عن سياق وروده ويؤدى المعنى الذي أفاده في

(١) البرهان في علوم القرآن ٣/ ٦٨ المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ) ، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م ، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه. وانظر الإتقان في علوم القرآن ٣/٢٥٠، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) ، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

(٢) انظر بلاغة القرآن في تذييل الآيات ، دراسة تأصيلية ص٣٨ ، أ.د أحمد محمد الشرقاوي، مجلة تدبر العدد الثاني ، السنة الأولى .

سياقه ؛ كقول الله تعالى :[وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا] الإسراء:٨١ ؛ فقوله تعالى:[إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا] تذييل قرآني عام جرى مجرى المثل العام ،أريد به حكماً كلياً وهو أن الباطل دائما ممحوق مزهوق .

ثانياً: نوع لا يجرى مجرى المثل: وهو أن يأتي التذييل القرآني معتمداً في وضوح معناه لدى السامع على السياق الذي ورد قبله ؛ توطئة لبيان المراد منه، وبياناً لمعناه المبثوث فيه ، بحيث لا يصلح استقلاله وسريانه كمثل عام بعيداً عن سياق وروده، وذلك كقول الله تعالى: [ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ] سبأ: ١٧؛ فقوله تعالى: [وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ] تذييل غير جار مجرى المثل، إذا أريد بالجزاء ذلك الجزاء الخاص المدلول عليه في الآيات السابقة.

*وقد يرد النوعان في سياق واحد ، كقول الله تعالى: [وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ،كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ] الأنبياء: ٣٤، ٣٥، فقوله [أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ] تذييل لا يجرى مجرى المثل، وقوله: [كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ] تذييل جرى مجرى المثل.

*** المسألة الثالثة: موقع التذييل في الكلام :**

– من خلال استقراء التذييل الوارد في القرآن الكريم ومواضعه يتضح أن موقع تذييل الكلام يأتي في موضع مما يلي :

١-***إما أن يأتي في الفاصلة القرآنية*** : ويكاد يكون هذا النوع من التذييل هو الغالب على التذييل القرآني ؛ حتى إنه لدى عموم الدارسين حين يطلق لفظ التذييل يكاد يشتبك في المفهوم مع مفهوم الفاصلة القرآنية ، وذلك كقوله تعالى: [فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ]البقرة ٣٧ ، فقوله تعالى: [إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ] تذييل وتعليل للجملة السابقة وهي فتاب عليه لأنه يفيد مفادها مع زيادة التعميم ، ومثاله أيضاً قول الله تعالى: [مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ

بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ]البقرة ١٠٥، قال المفسرون: [وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ] تذييل ؛ لأن الفضل يشمل إعطاء الخير والمعاملة بالرحمة، وتنبيه على أن واجب مريد الخير التعرض لفضل الله–تعالى– والرغبة إليه في أن يتجلى عليه بصفة الفضل والرحمة فيتخلى عن المعاصي والخبائث ويتحلى بالفضائل والطاعات عسى أن يحبه ربه(١) ، ومثله أيضاً : [لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ] الحديد ٢٣ ، قال الألوسي : وقوله تعالى:[وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ] تذييل يفيد أن الفرح المذموم هو الموجب للبطر والاختيال ، والمختال المتكبر عن تخيل فضيلة تراءت له من نفسه، والفخور المباهي في الأشياء الخارجة عن المرء كالمال والجاه(٢) ، ومثل ذلك في القرآن الكريم هو الغالب ، مثل قوله – تعالى– في سورة الفجر:[إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ] الفجر ١٤، فهي تذييل لما سبقها من آيات تتحدث عن انتقام الله – تعالى– من المخالفين للمنهج الإلهي ، وقوله تعالى: [ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ] تذييل لما سبقها من حديث الله –تعالى– عما أعده لعباده المؤمنين ورضوانه –تبارك وتعالى– عنهم بقوله تعالى: [إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ] البينة ٧ ، ٨ .

(١) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» ١/ ٦٥٤ ، المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤هـ.

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ١٤/ ١٨٧ ، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) ، المحقق: علي عبد الباري عطية ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

٢-*أن يأتي في ثنايا الآية محل التذييل*:إزالة لإبهام قد يتطرق لأذهان بعض السامعين ، ومثال ذلك قول الله تعالى:[يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ] المائدة ٥٤ ، فقوله تبارك وتعالى: [ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ] تذييل لما قبلها ، ومثل ذلك أيضاً قوله تعالى : [إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ] التوبة ١١١، ففي هذه الآية الشريفة تذييلان: أحدهما قوله تعالى: [وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا] ، فإن الكلام كان قد تم قبل ذلك وحسن السكوت عليه، والآخر قوله تعالى: [وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ] فخرج الكلام مخرج المثل السائر.

٣-*يأتي في صورة آية مستقلة تذييلاً لآية قبلها* :وذلك مثل قوله تعالى: [وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا]النساء ١٢٦، في أعقاب قول الله تعالى: [وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا] النساء ١٢٥، قال العلماء: "وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ...إلخ تذييل جعل كالاحتراس، على أن المراد بالخليل لازم معنى الخلة، وليست هي كخلة الناس مقتضية المساواة أو التفضيل، فالمراد منها- هنا- الكناية عن عبودية إبراهيم في جملة [مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ] ، والمحيط: العليم." (١) .

<u>*المسألة الرابعة : فائدة التذييل ، وقيمته البلاغية :</u>

- قال أبو هلال العسكري عن هذا الأسلوب وفائدته: «فأما التذييل فهو إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى بعينه حتى :

---

(١) التحرير والتنوير ٢١١/٥.

- **يظهر لمن لم يفهمه.**

- **ويتوكد عند من فهمه.**

- **وهو ضد الإشارة والتعريض.**

- وينبغى أن يستعمل فى المواطن الجامعة والمواقف الحافلة ؛ لأن تلك المواطن تجمع البطيء الفهم، والبعيد الذهن، والثاقب القريحة، والجيد الخاطر، فإذا تكررت الألفاظ على المعنى الواحد تأكد عند الذهن اللقن وصحّ للكليل البليد»[1] ، أي إن هذا النمط من البلاغة يحقق عدداً من الفوائد البلاغية في الكلام، وهي :

- **<u>البيان والتوضيح</u>** للغامض من الكلام ، أو المشكل من القول ؛ كقوله – تعالى: [ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا]سبأ ١٧، ثم قال –عز من قائل– : [وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ]، أي هل يجازى ذلك الجزاء الذي يستحقه الكفور إلا الكفور، فإن جعلنا الجزاء عاماً كان الثاني مفيداً فائدة زائدة، وهي تذييل لما سبقها مبينةً، وموضحةً ما أستشكل معناه على البعض.

- **<u>التوكيد على المعنى واضح الدلالة</u>** ، وصريح المفهوم ، وذلك كقوله تعالى: [وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ] يوسف ٥٣ ؛ فقوله تعالى: [إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي] تذييل مؤكد لقوله تعالى: [وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي].

- **<u>المساعدة في تدبر القرآن الكريم</u>** وهو غاية شريفة يشرف بها كل علمٍ أسهم في الوصول لهذا المقصد الأسنى؛ لقول الله تعالى: [كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ] ص ٢٩.

---

(١) الصناعتين ٣٧٣ ، المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ) ، المحقق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت ، عام النشر: ١٤١٩ هـ.

– **الرد على أدعياء فقدان القرآن الكريم للوحدة الموضوعية** ؛فإن العناية بهذا المحسن البديعي ، والعناية الفائقة بتفاصيل تراكيبه ، وسبك بيانه لتؤكد أن القرآن الكريم جميعه يفسر بعضه بعضاً ، حتى استبان أن أحد أوجه إعجازه حديثاً هو البحث الموضوعي في القرآن الكريم ، والتذييل القرآني – الذي هو أحد أوجه الإطناب– يكشف بعضاً من الارتباط الموضوعي لآيات القرآن الكريم بعضها ببعض.

– **إبراز أحد أهم أوجه الإعجاز القرآني**:وهو النظم القرآني العجيب ؛ ذلك أنه لما كان القرآن الكريم كلام الله – تعالى– المنزل على رسوله الكريم تاج العربية ، وشامتها فقد تأكد ارتفاع شأنه في البلاغة لأنه تنزيلٌ من حكيم حميد ، فكل لفظ فيه مقصود بذاته ، ولذاته: [الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ] هود ١، ولذا كان نظمه وترتيب وروده على الصورة التي هو عليها هو أوضح أوجه إعجازه .

***المسألة الخامسة: من الأغراض التفسيرية التي يعمل التذييل على تحقيقها:**

١-**التبيين والتوضيح** ، وهو أصل الباب وعليه تنبني هذه القضية ومثاله : [إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا]النساء ١٣٣، فقد جاء التذييل لبيان صفة القدرة الإلهية لاستلزام السياق وروده بيانا وتوضيحاً؛ قال أبو حيان : وأتى بصيغة المبالغة في القدرة، لأنه تعالى لا يمتنع عليه شيء أراده، وهذا غضب عليهم وتخويف، وبيان لاقتداره(١).

(١) البحر المحيط في التفسير ٤/٩٣ ، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) ، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت ، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

٢-**تقرير المعاني**، ويراد بذلك أن سياق مقام التذييل دائماً يأتي داعماً ومقرراً للمعاني القرآنية التي قصدتها الآيات ، ووطأت لها الكلمات قبله، ففي القصة يأتي التذييل معبراً عن الاعتبار منها ، جامعاً المعاني النافعة من وراء سوقها ، وفي الأوامر والأحكام والنواهي دائماً ما يأتي التذييل داعماً ومقرراً تلك المعاني التي سيقت لها الآيات ، وفي مقام التربية والتوجيه والتزكية القرآنية يكون التذييل داعماً تلك المعاني ؛ وبالنظر لقول الله تعالى : [يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ]، يتضح أن التذييل القرآني الوارد في هذه الآية وهو قوله- تعالى- "وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ"، قد جاء مقرراً المعاني التي وطأت لها النواهي الواردة قبله، وهو تذييل للمنهيات المتقدمة وهو تعريضٌ قويٌّ بأن ما نهوا عنه فسوق وظلم، إذ لا مناسبة بين مدلول هذه الجملة والجمل التي قبلها لولا معنى التعريض بأن ذلك فسوق وذلك مذموم ومعاقب عليه ؛ فدل قوله: "بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ" على أن ما نُهوا عنه مذموم ؛ لأنه فسوق يعاقب عليه ولا تزيله إلا التوبة فوقع إيجاز بحذف جملتين في الكلام اكتفاء بما دل عليه التذييل، وهذا دال على أن اللمز والتنابز معصيتان لأنهما فسوق[١].

٣-**جمال العبارة:** حيث يعمل التذييل على زيادة الجمال البياني في السياق الوارد فيه ؛ كونه يجيء على جميع الوجوه البلاغية التي تساهم في تحسين السياق الوارد فيه من جميع ألوان المحسنات البديعية التي تزيد العبارة جمالاً ووضوحاً ، مثل جناس الاشتقاق الوارد في تنزيل قوله تعالى: [وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا] النساء ١٠٧ ، ومنه أيضاً الالتفات في قوله تعالى : [تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ

---

(١) التحرير والتنوير ٢٤٩/٢٦ .

ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ] آل عمران ١٠٨، إلى غير ذلك من محسنات البيان المتنوعة في الكتاب العزيز.

٤- **إثراء المعنى** : حيث يعمل التذييل القرآني على تتابع المعاني المترابطة بعضها ببعض، مثال ذلك التذييل القرآني في قوله تعالى: [إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ] التغابن ١٧ .

٥-**حسن التعليل:** ويراد به أن أحد الوجوه التي قد يجيء التذييل معالجاً إياها، ويكون الغاية من إيراده هو بيان علة حكم متقدم ، أو بيان سبب حكم من الأحكام ؛ فبالنظر لقول الله تعالى:[ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ] آل عمران١١٢ ، قوله تعالى: [ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ] تذييل قُصد به بيان علة ما عوقب به هؤلاء المجرمون .

٦-**حسن الختام:** لما كان التذييل في معناه أنه كلام جيء به بعد كلام تم معناه قبله بياناً له أو توكيداً عليه أو تلخيصاً لمعناه ، أو بياناً لعلته لا شك عُد التذييل هو المعنى الأخير الذي يترسخ لدى المتلقي كونه هو الذي يدوم معه ، ولما كان كلام الله –تعالى– في ذروة البلاغة العربية كما وصفه الخالق والمخلوقون على السواء ، فقد مثل التذييل القرآني خاصةً أواخر السور ، أو أواخر الموضوعات **الختام الحسن للموضوع** ، فبالنظر إلى قوله تعالى: [لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] المائدة ١٢٠، يتضح جمال ما وعاه التذييل القرآني من معانٍ جامعة في خاتمة السورة ؛ قال الشيخ الطاهر بن عاشور –رحمه الله تعالى : "تذييل مؤذن بانتهاء الكلام؛ لأن هذه الجملة جمعت عبودية كل الموجودات لله تعالى، فناسبت ما تقدم من الرد على النصارى، وتضمنت أن جميعها في تصرفه –تعالى فناسبت ما تقدم من جزاء

الصادقين ، وفيها معنى التفويض لله –تعالى– في كل ما ينزل، فآذنت بانتهاء نزول القرآن على القول بأن سورة المائدة آخر ما نزل ، وباقتراب وفاة رسول الله – صلى الله عليه وسلم– لما في الآية من معنى التسليم لله وأنه الفعال لما يريد" (١).

٧-**الاحتراس ودفع التوهم** : وهو أن يكون الكلام محتملاً لشيء بعيد فيُؤتى بما يدفع ذلك الاحتمال عن المعنى(٢)؛ وذلك كي يكون المعنى خالصاً من أي توهم قد يرد على أذهان المتلقين، ومثال ذلك ما ورد تذييلاً في قوله – تعالى: [ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ] يوسف ٨١ ، قال العلماء: قوله تعالى "وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ" هو تذييل أفاد الاحتراس من تحقق كونه سرق، وهو إما لقصد التلطف مع أبيهم في نسبة ابنه إلى السرقة ، وإما لأنهم علموا من أمانة أخيهم ما خالجهم به الشك في وقوع السرقة منه(٣)، وكذلك –أيضاً– قوله تعالى: [وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ] النمل ١٢، قوله: [مِنْ غَيْرِ سُوءٍ] يعني تخرج بيضاء من غير برص، أو نحوه من الآفات، فهو احتراس(٤)، قوله: [هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ] التغابن ٢ ، فقوله تعالى: [وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ] احتراس أن

(١) التحرير والتنوير ١١٩/٧.

(٢) البرهان في علوم القرآن ٣/ ٦٤ .

(٣) التحرير والتنوير ٤٠/١٣ ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٤٩٦/٢ ، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ .

(٤) فتح القدير ١٤٧/٤ ، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) ، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ.

يتوهم بعضهم أن الله تعالى– قد خلق الفريقين وهو يرضى بأفعالهم ، فجاء هذا التذييل مزيلاً إبهاماً قد يلتبس به فهم بعض السامعين .

٨- **التفنن والتنويع؛** حيث يقوم التذييل بهذه الوظيفة البيانية في إثراء المعنى وعرضه بأكثر من صورة ما يعمل على قبوله لدى المتلقي وقد ألمح القرآن الكريم لهذا الأسلوب في غير ما موضع من القرآن الكريم، من ذلك قوله تعالى: [قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ]الأنعام ٤٦ ، وقوله : [قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ، وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ]الأنعام ١٠٤، ١٠٥ .

٩- **تعميم المعنى على سبيل المثل:** حيث يخرج المعنى الذي يرد في صيغة التذييل – في الغالب الأعم – في شكل مثل سائر يسهل فهمه، ويسهل استحضار معناه في الغالب الأعم فيكون ذلك بمنزلة التخليد للمعنى، وتيسير نقله وتعميم معناه ، وغالب التذييلات الواردة في القرآن الكريم تكاد تكون من هذا النوع والتي تصلح للاستشهاد بها في المواقف المتنوعة؛ انظر لقول الله تعالى : [مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ] فصلت ٤٦ ، فقوله تعالى: [وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ] هو على سبيل المثل ، وهو تذييل حسن ينفى كل ظلم صغيراً كان أو كبيراً في حق الله تبارك وتعالى.

المطلب الثاني التعريف بسورة الشورى، وفيه مسألتان:

***المسألة الأولى: التعريف بالسورة، وبيان مقاصدها العامة :**

****اسم السورة، وآياتها ، وزمن نزولها:***

– سميت بـ : " حم عسق " في بعض كتب التفسير ، وكذلك في بعض كتب الحديث التي اشتهرت لدى الأمة(١)؛ وذلك جرياً على تسمية السور القرآنية بافتتاحيتها.

– وسماها معظم المفسرين بسورة الشورى (٢) على التغليب لهذا الركن العظيم لأركان الحكم في الإسلام.

---

(١) انظر: تفسير التحرير والتنوير ٢٣/٢٥ ، تفسير الألوسي ١١/١٣ ، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) ١٠٠/٩ ، المؤلف: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ) ، المحقق: د. مجدي باسلوم ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م. وانظر: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري ١٢٩/٦ ، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر ، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ. سنن الترمذي ٣٧٧/٥ ، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق:أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢) ، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر ، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥م. المستدرك على الصحيحين ٤٨٠/٢ ، المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ) ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي ١٦/ ١ ، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)،=

– والأصل في الباب أن يُعتبر من الأسماء ما يقرب المسمى أكثر للأذهان، وعليه فقد عرفت السورة بهذا الاسم " الشورى" باعتبار هذا الموضوع المهم بالنسبة للأمة حتى غلب على تسمية السورة به ؛ تسمية لها بما ورد في بيان صفات المؤمنين في هذه السورة الكريمة، وهو قول الله تعالى: [وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ] الشورى ٣٨ .

– والسورة مكية على رأي جمهور العلماء إلا آياتٍ أربعاً فيها ، وهي [أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى] إِلَى قَوْلِهِ: [بَصِيرٌ] بِدَلَالَةِ مَا أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ وَالْحَاكِمُ فِي سَبَبِ نُزُولِهَا فَإِنَّهَا نَزَلَتْ فِي الْأَنْصَارِ وَقَوْلُهُ: [وَلَوْ بَسَطَ] الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي أَصْحَابِ الصُّفَّةِ وَاسْتَثْنَى بَعْضُهُمْ: [وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ] إلى قوله: [مِنْ سَبِيلٍ] (١).

– عدد آياتها ثلاث وخمسون فى الكوفى، وخمسون فى الباقين ،كلماتها ثمانمائة وستّ وستّون، وحروفها ثلاثة آلاف وخمسمائة وثمان وثمانون(٢).

=تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة ، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير ٥٧٥/٢٧ ، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ. معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي ١٣٧/٤ ، المؤلف : محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : ٥١٠هـ) ، المحقق : عبد الرزاق المهدي، الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ

(١) انظر: الإتقان ٦٤/١ ، مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِّوَرِ ٣/ ٤٤٩ ، ويُسَمَّى: "المَقْصِدُ الأَسْمَى في مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِلمُسَمَّى"، المؤلف: إبراهيم بن عمر ابن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ) ، دار النشر: مكتبة المعارف – الرياض ، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٧ م.

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٤١٨/١ ، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) ، المحقق: محمد علي النجار ، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ، مصاعد النظر ٤٤٩/٣.

– نزلت في حدود سنة ثمانٍ بعد البعثة، ولعل نزولها استمر إلى سنة تسع بعد أن آمن نقباء الأنصار ليلة العقبة فقد قيل إن قوله: [وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ] ، الشورى: ٣٨، أريد به الأنصار قبل هجرة النبي –صلى الله عليه وسلم – إلى المدينة (١) .

فضل هذه السورة الكريمة:

القرآن الكريم كتاب الله – تعالى– الذي جعله نوراً ، وهداية من الفتن ، وسبيلاً للفوز في الدارين ، فهو الذي زكاه الله تعالى بقوله : [قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ، يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ] المائدة ١٥ ، ١٦ ، وهذه السورة الكريمة لها فضائل عظيمة كما يلي :

١- **هي أحد سوره العظيمة** والتي انتظمت فيما سماه النبي –صلى الله عليه وسلم – بالمفصل في الحديث عَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ، أَنَّ النَّبِيَّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ: «أُعْطِيتُ مَكَانَ التَّوْرَاةِ السَّبْعَ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الزَّبُورِ الْمِئِينَ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الْإِنْجِيلِ الْمَثَانِيَ، وَفُضِّلْتُ بِالْمُفَصَّلِ»(٢). أي هذه السورة الكريمة هي أحد ما فُضل به النبي – صلى الله عليه وسلم – على غيره من الأنبياء كما قال العلماء، فقوله: (وَفُضِّلْتُ بِالْمُفَصَّل) أي أعطيته فضيلةً وزيادةً على ما أُعطي الأنبياء من قبلي ؛ فأفاد أنه أُعطي من الوحي مثل ما أُعطي كل من الأنبياء الذين ذُكرتْ كتبهم وفضل زيادة على ما أعطوا بهذا المفصل (٣).

(١) التحرير والتنوير ٢٤/٢٥ .

(٢) حديث حسن الإسناد رواه أحمد في مسنده ، مسند الإمام أحمد بن حنبل ١٨٨/٢٨ حديث رقم ١٦٩٨١ ، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ، الناشر: مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١ م.

(٣) التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِع الصَّغِيرِ ٤٨٧/٢ ، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير=

٢-أنها **من الحواميم اللاتي هن من السور ذوات المنزلة العالية** التي وجه النبي –صلى الله عليه وسلم – أحد الصحابة لقراءتها حين جاءه الرجل يشكو إليه ضعفه عن العبادة ؛ كما ورد في الحديث عن عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَقْرِئْنِي يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: «اقْرَأْ ثَلَاثًا مِنْ ذَوَاتِ آلر»، قَالَ الرَّجُلُ: كَبرَتْ سِنِّي، وَاشْتَدَّ قَلْبِي، وَغَلُظَ لِسَانِي! قَالَ: «اقْرَأْ ثَلَاثًا مِنْ ذَوَاتِ حم» قَالَ مِثْلَ مَقَالَتِهِ الْأُولَى، فَقَالَ: «اقْرَأْ ثَلَاثًا مِنَ الْمُسَبِّحَاتِ» ، فَقَالَ مِثْلَ مَقَالَتِهِ الْأُولَى، قَالَ: لَكِنْ أَقْرِئْنِي سُورَةً جَامِعَةً، فَأَقْرَأَهُ {إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا} [الزلزلة: ١] حَتَّى فَرَغَ مِنْهَا، قَالَ الرَّجُلُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَزِيدُ عَلَيْهَا أَبَدًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَفْلَحَ الرُّوَيْجِلُ، أَفْلَحَ الرُّوَيْجِلُ»"(١)، فقد أمره النبي –صلى الله عليه وسلم– أن يقرأ من الحواميم ، دليلاً على علو منزلة تلك السور.

*<u>***مقاصد السورة وأهدافها العامة :***</u>

هذه السورة الكريمة سورة مكية ؛ ولذا فإنها تحرص على معالجة القضايا العقدية الكبرى التي عالجتها السور المكية والتي حرص القرآن الكريم في تلك الفترة أن يضبطها ويقومها وفق التصور الموضوع من قبل الإله – تبارك وتعالى– الذي يقرر لعباده، ويشرع لهم ما يصلح بها حالهم ، ومآلهم ، وعاجلهم وآجلهم.

وهي وإن كانت تعالج قضية العقيدة كسائر السور المكية لكنها تركز بصفة خاصة على حقيقة الوحي والرسالة، حتى ليصح أن يقال: إنها – أي حقيقة

=(المتوفى: ١١٨٢هـ) ، المحقق: د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم ، الناشر: مكتبة دار السلام، الرياض ، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١ م.

(١) شرح سنن أبي داود ٥/ ٣٠٤ ، المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد ابن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ) ، المحقق: أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ -١٩٩٩ م.

الوحي والرسالة – هي المحور الرئيسي الذي ترتبط به السورة كلها، وتأتي سائر الموضوعات فيها تبعاً لتلك الحقيقة الرئيسية فيها[1] ، ومن الممكن القول إن المقاصد المساعدة لبيان هذه القضية تتمثل فيما يلي:

١- الحديث عن القيامة وتفاصيل ما يحدث فيها ، ومصائر الخلق وفق ما قدموا في دار العمل .

٢- حقيقة الإيمان كونه القضية الكبرى التي ظل القرآن الكريم يعالجها ، بوصفه الصورة الماثلة للوحي .

٣- الحديث عن صفات الله – تبارك وتعالى– وتجليها في بعض مظاهر قدرته ورحمته ممثلة في رد قضية الرزق كاملة له – تبارك وتعالى– وتجسيدها في أحد أهم مظاهره وهو تنزيل الغيث رحمة بالمخلوقين.

٤- تفصيل الحديث عن أهم الصفات التي يجب اتصاف المؤمنين بها ، وأهم الأخلاق التي يتخلقون بها .

<u>*المسألة الثانية: علاقة السورة بما ورد قبلها وما ورد بعدها كما يلي :</u>

بداية: من الضروري التعرف على أهمية علم مناسبة ذكر السورة مع ما ورد في المصحف قبلها وما ورد بعدها من السور القرآنية ، وقاعدة الباب القيمة في معرفة هذا العلم هي : "الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر إلى الغرض الذي سيقت له السورة وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام أو اللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة شفاء الغليل

---

(١) في ظلال القرآن ٣١٣٦/٥ ، المؤلف: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ) ، الناشر: دار الشروق – بيروت– القاهرة ، الطبعة: السابعة عشرة – ١٤١٢ هـ. التحرير والتنوير ٢٤/٢٥.

بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن فإذا فعلته تبين لك وجه النظم مفصلاً بين كل آية وآية في كل سورة "(١) ، وقد عد الإمام الفخر الرازي رحمه الله – تعالى – هذا العلم هو الدليل على إعجاز القرآن فقال:" ومن تأمل لطائف القرآن علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضاً معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته ولعل الذين قالوا: إنه معجزٌ بحسب أسلوبه أرادوا ذلك إلا أني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير متنبهين لهذه الأمور"(٢).

– وبالنظر لسورة " الشورى " نجد أنها واقعة بين سورتين مكيتين في ترتيب المصحف وهما : سورة " فصلت" التي تسبقها في الترتيب ، وسورة " الزخرف" التي تتبعها ترتيباً، وبالتدقيق نجد أن هناك تناسباً رائعاً بين السور الثلاث ومقاصدها ، ففي كل منها تفصيل لبعض القضايا المجملة في السورتين الأخريين، كما أن فيها إجمالاً لبعض ما تم تفصيله في السورتين الأخريين ؛ على ما يلي تفصيله :

– **الافتتاحية لكل سورة :** افتتحت السور الثلاث بـ: "حم" ، وقد تشابهت الموضوعات التي افتتحت بها السور الثلاث، ففي سورة فصلت كان الحديث عن تنزيل القرآن الكريم من الرحمن الرحيم، [حم ، تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، كِتَابٌ

---

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن ٣/٣٧٦ ، عبد الرحمن بن أبي بكر،جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) ، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١/١٩ ، المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ) ، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة .

(٢) مفاتيح الغيب: التفسير الكبير ٧/١٠٦ ، أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.

فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ، بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ] فصلت ١: ٤ فكأن القرآن هو أحد أوجه رحمة الله تعالى .

– وفي سورة الشورى جاء الحديث عن الوحي عامة كونه قضيةً كبرى تشغل البشر، باعتبار القرآن الكريم أحد أبرز المظاهر الواضحة لظاهرة الوحي، [حم ، عسق ، كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ]الشورى١: ٣، وأما في سورة الزخرف التي جاءت تالية لسورة الشورى فجاءت حديثاً مباشراً وقسماً بحقيقة هذا الكتاب بقوله تعالى: [حم، وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ، إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ، وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ] الزخرف ٤:١

– **ثانياً موضوعات السور الثلاث** : تكاد تكون الموضوعات التي تعالجها السور الثلاث متقاربة بشكلٍ كبير ، ومكملةً لبعضها البعض ، حيث جاءت جميعها لمعالجة قضايا العقيدة الإسلامية ، وما يستتبعها من تقويم السائرين في طريق الدعوة إليها ، والتوجيهات الكفيلة بتبصير الدعاة بكيفية مواجهة عقبات الطريق ، ويتضح ذلك ببيان الموضوع الرئيس الذي يقوم عليه بنيان كل سورةٍ والذي يتضح في الجدول التالي :

السورة	الموضوع الرئيس لها
فصلت	العقيدة وحقائقها الناصعة من حيث قضايا: [الألوهية – الحياة الآخرة –الوحي والرسالة– بيان طريق الدعوة إلى الإسلام باعتباره رسالة الأنبياء جميعاً– أخلاق الداعية السائر في هذا الطريق].
الشورى	العقيدة الإسلامية وقضاياها ؛ خاصة قضية الوحي والرسالة .
الزخرف	عقبات في طريق دعوة الإسلام في تاريخه المتطاول – طريقة القرآن في معالجة النفوس البشرية من آثار الوثنيات الجاهلية عبر تاريخ الدعوة كله .

– وهكذا يتضح أن السور الثلاث تكاد تعالج موضوعاً واحداً ، وهو قصة الوحي والدعوة إليه .

– ***خواتيم السور الثلاث*** ، حيث جاءت خاتمة كل سورة متسقة مع خواتيم السورتين الأخريين ؛ حتى لتكاد تتوحد أو تقترب من الوحدة خواتيم السور الثلاث، والذي يتضح في وحدة القضية العقدية التي تعالجها السور الثلاث حتى في خواتيمها ؛ والتي هي حديث عن القرآن الكريم الذي هو جامع الرسالة الإسلامية في جميع عصورها، والملابسات التي واجهت حملة هذا الكتاب والداعين إليه ، وصولاً للتسليم بأن الأمور جميعها تصير إلى الله الملك الذي يحكم بين العالمين في الآخرة، كما يلي :

السورة	خاتمتها
فصلت ٥٢: ٥٤	[قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ، سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ، أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ]
الشورى ٥٢: ٥٣	[وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ، صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ]
الزخرف ٨٧ : ٨٩	[وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ، وَقِيلِهِ يَارَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ، فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ]

– لكل ما سبق فقد اتفق العلماء على تناسب تسلسل السور الثلاث وكأنها تأخذ بعناق بعضها ، وتتكامل مع بعضها لتعالج الموضوعات الأساسية فيما بينها بأساليب متنوعة .

المبحث الثاني التطبيقي للتذييل في السورة الكريمة

يمكن القول أن هذه الظاهرة البلاغية جاءت واضحة بشكل كبير في هذه السورة المباركة ، حيث ورد فيما يزيد عن الثلاثين موضعاً في السورة الكريمة، وجاء معظمه من النوع العام الجاري مجرى الأمثال ، وتعددت أغراضه التفسيرية تبعاً للوظيفة التي ورد لأدائها في السياق كما سيتضح فيما هو آت :

١-قوله تبارك وتعالى:[الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ] جاء تذييلاً للآية الكريمة ، وهو قوله تعالى: [كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ]، وتظهر القيمة التفسيرية لهذا التذييل فيما يلي :

– هذا التذييل من نوع التذييل المفهوم من السياق ، غير سائر على طريقة المثل العام، وغرضه بجانب التوكيد والتوضيح هو التنزيه لله تبارك وتعالى ، والبرهان على صحة الوحي والرسالة.

– لما أبان – تبارك وتعالى– أن وحيه لنبيه محمد – صلى الله عليه وسلم – قد جاء على سَنن وحيه لأنبيائه –تبارك وتعالى– الأول ، ناسب أن يصف ذاته– تبارك وتعالى – بوصفَي العزة والحكمة ؛ إذ يحصل من كونه عزيزاً حكيماً كونه قادراً على جميع المقدورات عالماً بجميع المعلومات غنياً عن جميع الحاجات ، ومن كان كذلك كانت أفعاله وأقواله حكمةً وصواباً، وكانت مبرأةً عن العيب والعبث (١).

– ومجيء التذييل بهذين الوصفين [الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ] معاً يناسب القضية التي تتناولها السورة ، وهي قضية الوحي الذي يحمل في طياته التحدي المعجز لمن يتحداهم القرآن في سياق الحكمة الموضوعة من قِبَل من له الوحي والرسالة ، مناسبةً لحال المعاندين الذين تحداهم القرآن الكريم أن يأتوا بمثله فعجزوا ،

(١) انظر: مفاتيح الغيب ٢٧/ ٥٧٦ ، التحرير والتنوير ٢٥/ ٢٦ .

فتحداهم أن يأتوا بسورة فعجزوا ، فتحداهم أن يأتوا بآية من مثله فانهزموا ؛ فدل ذلك على أنه تنزيل من عزيزٍ لا يعجزه شيء ، حكيمٍ كلامه لا يبلغ أحدٌ مثله .

– والوصف بالعزيز الحكيم تذييلاً للحديث عن وحي الله – تبارك وتعالى– لنبيه – صلى الله عليه وسلم – فيه الإشارة إلى علو شأن القرآن الكريم ، واتصافه بشيء من صفات الله الواردة تذييلاً في هذا الموضوع ، فالقرآن فرع عن عزة الله تعالى وحكمته ، فهما " صفتان مقررتان لعلو شأن الموحى به لأنه أثر من اتصف بكمال القدرة والعلم "(١).

– وقد ورد وصف الله – تبارك وتعالى– كتابه أنه كتاب عزيز بقوله تبارك وتعالى: [إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ] فصلت ٤١ ، ٤٢. وعزة القرآن الكريم فرع عن عزة الله – تبارك وتعالى ، وقد تحدث الحق – تبارك وتعالى– في القرآن الكريم في غير ما موضع عن وجوه عزة القرآن الكريم.

– والمراد بالعزة القرآنية أن القرآن عزيز على الله وهو من عند الله ، وقيل: إن معنى ذلك أن القرآن منيع أن يناله الشيطان بأي تحريف له بزيادة أو نقصان، وقيل عزيز أن يطاله أحد من الخلق بسوء(٢) ، أما كون القرآن عزيزاً بمعنى كونه غالباً، فالأمر كذلك لأنه بقوة حجته غلب على كل ما سواه، وأما كونه عزيزاً بمعنى عديم النظير، فالأمر كذلك لأن الأولين والآخرين عجزوا عن معارضته(٣).

– كذلك وصف الله – تبارك وتعالى– القرآن الكريم بوصف الحكيم في غير ما موضع في القرآن الكريم ؛ تناسباً مع تفريع هذا الوحي عن عزة الله وحكمته؛

---

(١) روح البيان ٢٨٧/٨ ، المؤلف: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ) ، الناشر: دار الفكر – بيروت.

(٢) انظر القرطبي ٣٦٧/١٥ .

(٣) تفسير الرازي ٢٧/ ٥٦٨ .

من ذلك قوله تعالى: [الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ، أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ] يونس ١، ٢ ، وقوله :[الم ، تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ، هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ]لقمان ١: ٣ .

٢-جاء مطلع الآية الرابعة ، وهو قوله تبارك وتعالى:[لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ] تذييلاً للآية السابقة عليها، وهو قوله تعالى: [اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ]؛ ولهذا التذييل القرآني قيمة رفيعة تمثلت فيما يلي :

– هذا التذييل من نوع اللفظ العام ، المماثل لما يشبه المثل العام ، وغرضه بجانب التوكيد والبيان هو التعظيم والتنزيه لله رب العالمين ، وتقرير المعاني وإثراؤها.

– تقديم الجر والمجرور : [لَهُ] فيه الدلالة على ملكيته –تبارك وتعالى– لهن، وما فيهن ، وهو دليل اختصاصه – تبارك وتعالى– بذلك الذي هو فرع عن عزته وحكمته .

– من له ملكية السماوات والأرض على عظم أجرامهن ، وبديع صنعهن ، وسعة وجودهن يدل لا محالة على عزته – تبارك وتعالى– ومنعته ، وتمام إتقانهن ، وبديع انتظامهن ، وتتابع ما فيهن وفق هذا النظام الذي لا يتخلف هو فرع عن الوصف لخالقهن بالعزة والحكمة.

– ومجيء التذييل بهذه المعاني يفيد توكيد وصف الله – تبارك وتعالى– بالعزة والحكمة (١).

---

(١) انظر: التحرير والتنوير ٢٨/٢٥ ، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ٥٣٨/٩ المؤلف: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ)المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط ، الناشر: دار القلم، دمشق،. مفاتيح الغيب ٥٧٦/٢٧. تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٢٢/٨ المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ) ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣-قوله –تبارك وتعالى- : [وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ] تذييل مطلع الآية: [لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ]، وقيمة هذا التذييل تتضح بما يلي :

– التذييل عام اللفظ ، مماثل للمثل الجاري ، تنزيهاً لله –تعالى- وغرضه التفريع في بيان صفات منزل الوحي ، من باب التفنن والتنوع في الوصف له .

– مناسبة هذا التذييل لما ذكر من ملكيته –تبارك وتعالى – للسماوات والأرض وما فيهن ؛ فإن من ملك شيئاً علا عليه ، ومن كان له ملك شيء كان عظيماً .

– وفي هذا التذييل قصرٌ للعلو المطلق والعظمة المطلقة على الله – تبارك وتعالى- الذي هو الموحي للرسل جميعاً بما يشاء وفق علمه ، ووفق حكمته ، فكان في ذلك الإشارة إلى أن الوحي يكون من العلي على من في الأرض ، ويكون من العظيم على من في الأرض الذين لا ينالون من العظمة إلا بقدر إجابتهم داعية الهداية التي تنزل بها الوحي من العلي العظيم .

– الوصف والتذييل بالعلي العظيم في هذا الموضع **أفاد معنيين** :

– ***أحدهما*** : وهو أنه – تبارك وتعالى – المتصف بالعلو والعظمة متعالٍ عن سفاسف الأمور ، وحقيرها ، وهو أهل لعظائم الأفعال وعليائها ، والتي منها ما تعجب المشركون أن تصدر عن الله –تعالى- وهي قضية الوحي التي تعجبوا منها بقولهم: [أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا] الإسراء ٩٤ .

– ***ثانيهما*** : أن في هذا الوصف الإلهي: [وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ] قصرًا معنويًّا لهاتين الصفتين أن تكونا متمكنتين لدى أحد إلا لله –تبارك وتعالى- ، فأفاد بمفهوم المخالفة تعيير المشركين بانتفاء هذين الوصفين لدى آلهتهم المدعاة ، وهو كما يقولون: قصر قلب[١] ، ففيه تهييج لهم على إعمال عقولهم ، وعدم تعطيلها.

(١) التحرير والتنوير ٢٥/ ٢٨ .

٤-قوله –تبارك وتعالى– : [تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ] الشورى ٥ ، جاء قوله تعالى: [أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ]، تذييل لمطلع الآية الكريمة ، وغرضه هو التفنن والتنوع في إثراء المعاني كما يلي:

– لما ذكر – تبارك وتعالى– وصف ذاته العليا بالعزة ، والحكمة ، والعلو والعظمة في الآيات السابقة ناسب أن يأتي قوله تبارك وتعالى: [تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ] تعبيراً عما يناسب الهيبة من الملك– تبارك وتعالى– الذي كادت السماوات تتفطر من هول تكذيب المشركين لوحيه، أو ادعائهم على الله – تبارك وتعالى– ما كذبه وحيه المنزل والموحى به من لدنه– تبارك وتعالى – الذي رد على المشركين قولهم بأن لله –تعالى– صاحبة أو ولداً ، كما قال تبارك وتعالى: [وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ، لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ، تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ، أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ، وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ، إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا] مريم ٨٨: ٩٣ ، وتتضح القيمة التفسيرية للتذييل : [أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ] بما يلي:

– لما ذكر تعالى حال السماوات كونها كادت تتفطر من فوقهم هم وما يسكنون ، وحرص الملائكة على ديمومة الاستغفار للمؤمنين ، وقياماً بحق الله تعالى– في الاستغفار والتسبيح والتحميد ؛ خشية وقوع عذاب الله – تبارك وتعالى – على المؤمنين ؛ فإنهم برغم إيمانهم فإن الملائكة هم أعلم بحق الله –تعالى– عليهم من علمهم بحقه ، ولذا كان دأب الملائكة كما وصفهم الله تبارك وتعالى: [يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ] الأنبياء ٢٠ ، فكانت الملائكة على حال دائمٍ من التحميد ، والتسبيح ، والاستغفار، وكل ما سبق تعبير للمخالفين بواقعهم المقصر عن أداء حق الله تعالى؛ فناسب ذلك أن يأتي التذييل على هذه الصيغة: [أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ] .

- وقد أفاد هذا التذييل أنه - تبارك وتعالى- أعطى المغفرة التي طلبها الملائكة للمؤمنين كاملة دون انتقاص ، بل زاد عليها من جوده وكرمه وواسع عطائه الرحمة التي لم يطلبها الملائكة لهم ، قال الرازي : "إنه -تعالى- حكى عنهم أنهم يستغفرون لمن في الأرض ولم يحكِ عنهم أنهم يطلبون الرحمة لمن في الأرض فقال: [أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ]، يعني أنه يعطي المغفرة التي طلبوها ويضم إليها الرحمة الكاملة التامة ، كرماً زائداً من لدنه تبارك وتعالى "[١] .

- وقد جاء التذييل للإشارة إلى سبب ترك معاجلة العذاب مع استحقاقهم له، وعمم بعض المستغفر لهم وأدخل استغفار الملائكة في سبب ترك المعاجلة[٢].

- وهذا التذييل جاء "لإبطال وهم المشركين أن شركاءهم يشفعون لهم، ولذلك جيء في هذه الجملة بصيغة القصر بضمير الفصل، أي أن غير الله لا يغفر لأحد ، وصدرت بأداة التنبيه للاهتمام بمفادها[٣].

٥-قوله تبارك وتعالى: [وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ] الشورى ٦ جاءت الآية بياناً لحال المشركين أمام الوحي والهداية ، وأنهم قد اتخذوا من دون الله أرباباً مدعاة يعبدونها ، ثم ذيل الآية بقوله عز من قائل: [وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ] لبيان الدور الذي يجب أن يضطلع به سيد البشر النبي الموحى إليه، وأن دوره لا يعدو كونه مبلغاً عن الله - تعالى- وحيه فحسب ، وهو ليس بحفيظٍ رقيبٍ على تصرفاتهم ، بل الرقيب عليهم والوكيل في هذا التصرف هو الإله الذي يوحي إليك ما يجب عليك فعله، غرضه الاحتراس ، ودفع التوهم أن يعتقد النبي أن يكون عليمًا وكيلا.

---

(١) تفسير الرازي ٥٧٩/٢٧.

(٢) تفسير الألوسي ١٤/١٣ .

(٣) التحرير والتنوير ٣٤/٢٥ .

- والقيمة التفسيرية للتذييل تتضح في بيان وظيفة النبي ، وأنه مجرد مبلغ عن الله –تعالى– وفق وحي يوحيه الله –تعالى– إليه ، مع كونه في الأصل مجرد بشر مثلهم، كقوله تعالى: [قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ]الكهف ١١٠، وليس له مجرد الاقتراح على الله ولا تجاوز هذه المنزلة.

- كذلك التذييل يفيد أن الله –تعالى– هو الحفيظ والوكيل على البشر يتصرف فيهم وفق حكمته ومشيئته ، وليس للنبي – صلى الله عليه وسلم– حتى الحزن على موقفهم من الوحي والهداية ؛ كما نعاه الله– تعالى– في قوله : [فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا] الكهف ٦، وقوله [لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ] الشعراء ٣ ، والمقصود من ذلك رفع التبعية عن النبي – صلى الله عليه وسلم – من عدم استجابتهم للتوحيد، أي لا تخشَ أن نسألك على عدم اهتدائهم إذ ما عليك إلا البلاغ .

- وإذ قد كان الحفيظ الوكيل بمعنى كون الله حفيظاً عليهم ونفي كون الرسول – صلى الله عليه وسلم– وكيلاً عليهم مفيداً قصر الكون حفيظاً عليهم على الله –تعالى– دون الرسول – صلى الله عليه وسلم – بطريق غير أحد طرق القصر المعروفة فإن هذا من صريح القصر ومنطوقه لا من مفهومه وهو الأصل في القصر وإن كان قليلاً(١)، يعني الصريح هو أن النبي ليس حفيظاً عليه بل الله – تعالى– هو الحفيظ عليهم ، والنبي – صلى الله عليه وسلم – ليس وكيلاً عليهم بل الله– تبارك وتعالى– هو الوكيل.

٦-قوله تبارك وتعالى: [وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ] الشورى ٧، أبان – تبارك وتعالى– قضية الوحي وحقيقتها ، وعلتها بهذه الآية الكريمة ، فالله – تبارك وتعالى– أوحى هذا القرآن بلسان عربي مبين ؛ ليكون نذيراً لعموم

(١) التحرير والتنوير ٣٤/٢٥ .

أهل مكة ومن حولها حتى آخر العالمين ، كما قال تعالى: [وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ] سبأ ٢٨، فصار الناس فريقين أمام هدايته ؛ فكان لزاماً أن تكون خاتمة أعمالهم فريقين كلٌّ وفق اختياره الحر ، فريقاً هداه الله فاهتدى فكان جزاؤه الجنة، وفريقاً هداه الله فاستحبوا العمى على الهدى ؛ فكان جزاؤه السعير.

– والتذييل في هذه الآية الشريفة قوله تبارك وتعالى: [فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ] هو من نوع المثل السائر جاء لبيان عاقبة الموافقة للوحي ، وعاقبة المخالفة للوحي ، وغرضه تقرير المعاني.

– وتأتي قيمته التفسيرية كونه لخص مآل وعاقبة اختيار الإنسان فيما يخص أمر الوحي ، يُراد: أوحينا إليك هذا القرآن بشيراً ونذيراً للناس جميعاً ، وخاصة أهل مكة ، فانقسموا فريقين أمامه لا ثالث لهما ، فريقاً اهتدى ، وفريقا استحبوا العمى على الهدى ، فكان جزاؤهم من جنس عملهم أن انقسموا في الآخرة يوم الجمع ، وما يتبعه زمناً فريقين : فريق في الجنة ، وفريق في السعير.

– واختيار التعبير عن مصير المؤمنين بالوحي بالجنة ، والتعبير عن مصير المكذبين للوحي بالسعير فيه لون من ألوان الإنذار والتخويف لهم من هذا المصير المحتوم لهم ولأمثالهم من المخالفين والمعاندين ؛ وحضاً لهم على مجانبة تلك المخالفة التي تستدعي هذا المصير البشع ، وفي ذكر السعير مناسبة لوصف وظيفة الوحي بالإنذار في قوله تعالى: [لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ].

٧-قوله تعالى: [وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ] الشورى ٨، أبان – تبارك وتعالى– سبب افتراقهم فقال: ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة أي على دين واحد، وهو دين

الهداية، ولكن يدخل من يشاء في رحمته ، أي في دينه والظالمون وهم الكافرون ما لهم من ولي يدفع عنهم العذاب ولا نصير يمنعهم منه (١).

– التذييل الوارد في الآية قوله تعالى: [وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ] أفاد معاني متعددة كما يلي:

– التذييل من نوع التذييل العام الجاري مجرى المثل ، وغرضه ترجيح المعاني ، بأن الظالمين معدومو الأنصار.

– تصدير التذييل بوصف هؤلاء المعاندين الجاحدين بـ" وَالظَّالِمُونَ" فيه الإشارة الواضحة أن مصيرهم ناتج عن ظلمهم أنفسهم أن أوردوها موارد الخسران؛ ولولا هذا لكانوا في زمرة من امتن الله عليهم فأدخلهم في رحمته ، قال الألوسي : " وإنما قيل "وَالظَّالِمُونَ ما لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ"، وكان الظاهر أن يقال ويدخل من يشاء في عذابه ونقمته ؛ للإيذان بأن الإدخال في العذاب من جهة الداخلين بموجب سوء اختيارهم لا من جهته – عزّ وجلّ – كما في الإدخال في الرحمة" (٢).

– نفي الولي والنصير عن هؤلاء الظالمين في الآخرة دليل على أن اتخاذهم أولياء من دون الله في الدنيا كان قراراً عدمياً لم ينفعهم لا في الدنيا ولا في الآخرة، بدليل عدم تخصيص انتفاء الأولياء والأنصار بأنه في الآخرة فحسب بل هو انتفاء عام يفيد أنهم لا يملكون لهم نفعاً ، ولا ضراً ، ولا ولاية ولا نصرة لا في الدنيا ولا في الآخرة!!!

٨-قوله تبارك وتعالى: [أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِ الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] الشورى٩ ، أنكر– سبحانه– على أولئك

(١) زاد المسير في علم التفسير ٤/٦٠ ، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن ابن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) ، المحقق: عبد الرزاق المهدي ، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت ،الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.

(٢) تفسير الألوسي ١٣/١٥ .

الجاهلين اتخاذهم آلهة من دونه فقال: أم اتخذوا من دونه أولياء، فالله هو الولي، وهو يحي الموتى، وهو على كل شيء قدير .

– وجاء قوله تبارك وتعالى [وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] تذييلاً للآية الكريمة ، وبياناً للعلة التي لأجلها استنكر الله تعالى– في وحيه ما فعله أولئك المشركون من صرف ولايتهم لغير الله تعالى تدليلاً على ذلك بهذا التذييل، والقيمة التفسيرية لهذا التذييل تتضح مما يلي :

– نوع هذا التذييل هو من قبيل التذييل الجارى مجرى المثل ، وغرضه بيان عموم قدرته كل شيء ، تعليلاً وتمهيداً لبيان قدرته على أمر الوحي.

– الجملة بهذا السبك اللغوي تفيد عموم القدرة الإلهية لكل ما سوى وجهه – تبارك وتعالى– من إحياء ، أو إماتة ، أو رزق ، أو أي فعل ؛ فكان في ذلك إثبات وتوكيد لكل الصفات الإيجابية التي أثبتها الخالق – تبارك وتعالى– في قرآنه لذاته.

– يتفرع عن هذا المعنى توكيد نفي القدرة على شيء عن الأولياء الأدعياء الذين اتخذهم المشركون من دون الله تبارك وتعالى ؛ ما يفيد تحقير المشركين، وتحقير عقولهم ، وتحقير أدعيائهم بالتبعية.

– جاءت الآية تذييلاً تعليلياً لاستنكار اتخاذ أولئك المشركين لأنفسهم أولياء من دون الحق تبارك وتعالى ، فالذي يجب أن تنصرف القلوب إليه بالولاية هو من يكون على كل شيء قدير ، لا من يعجز عن أي أمر لنفسه ولا لغيره ، فكان في ذلك غمز لعقول المشركين لعلهم يراجعون اعتقادهم الباطل في أمر الأوثان!!!

– وهو وحده "على كل شيء قدير " أي بالغ القدرة لا يشاركه شيء في ذلك بشهادة كل عاقل، وأكده بالقصر لأن شركهم بالأولياء إنكار لاختصاصه

بالولاية[1] ، فجاء الرد الإلهي على أعلى درجات البلاغة في إثبات الولاية لله – وتعالى– بجميع ما يستتبعها من أفعال وصفات، وعلى رأسها عموم قدرته تبارك وتعالى.

٩-قوله تبارك وتعالى: [وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ] الشورى ١٠ ، جاء قوله –تبارك وتعالى– [ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ] تذييل قرآني للآيات السابقة من مفتتح السورة حتى قوله تعالى: [فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ].

– يعني أن الله –تعالى– الذي أوحى الرسالات إلى أنبيائه ، وأوحى إلى النبي الخاتم رسالة الإسلام ، العزيز الحكيم ، من له ملك السماوات والأرض العلي العظيم ، والذي تعرف الملائكة جيداً حقه فتسبح بحمده ، وتعلم أن المخلوقين مهما قدموا من طاعات فإنهم لا محالة مقصرون في جنب الله ؛ لذا يستغفرون للمؤمنين ويطلبون من الله –تعالى– لهم المغفرة الواسعة ، ومن الصفات الجليلة التي وصف بها الحق ذاته أنه تعالى مجيب للملائكة في طلب مغفرتهم ، بل يكرمهم برحمة بجانب المغفرة التي طلبوها؛ إذ هو الغفور الرحيم، ومن رد المشركون عليه باتخاذهم أولياء من دونه –تبارك وتعالى– ظالمين لأنفسهم ، والذي من وصفه –تبارك وتعالى– أنه هو الحفيظ عليهم في تصرفاتهم والوكيل عليهم في جميع شئونهم ، والذي أدين له –تبارك وتعالى– بالتحاكم إلى حكمه في كل أمر من أموري ، وأتوكل تمام التوكل عليه ، وأتوب إليه من كل ذنب أقترفه ... كل ما سبق جاء مقدمة لهذا التذييل ، وكأنه – تبارك وتعالى– يعلم نبيه ، ومن ورائه المؤمنين بحقيقة معبودهم كأنه قال بعد ذلك : من كان من

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٧/ ٢٥٤ ، المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ) ، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة .

صفاته ما سبق : [ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ]، وقد أفاد هذا التذييل مجموعة من المعاني التفسيرية كما يلي:

- نوع هذا التذييل من التذييل الذي يحتاج في فهم معناه لفهم السياق الوارد فيه ، يعني لا يجري مجرى المثل ، وغرضه التفنن والتنوع في عرض المعاني البلاغية.

- هذه الصيغة الصريحة التي أعلم الله – تبارك وتعالى– نبيه أن يطلقها جاءت على سبيل المفاصلة في أمر الاعتقاد ، وكأن الله يقول لنبيه – صلى الله عليه وسلم– بما أن المشركين قد اتخذوا من دون الله أولياء ففاصلهم فيما يخص الاعتقاد، والسلوك على السواء وأعلن :[ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ].

- القصر في قوله –تعالى– ذلكم الله ربي ، يفيد نفي الربوبية عمن سوى الله –تعالى– المستحق لصرف كل أوجه الربوبية إليه لا إلى سواه ، أي ذلكم الحاكم بينكم هو ربي عليه توكلت في دفع كيد الأعداء وفي طلب كل خير وإليه أنيب أي وإليه أرجع في كل المهمات، وقوله عليه توكلت يفيد الحصر، أي لا أتوكل إلا عليه، وهو إشارة إلى تزييف طريقة من اتخذ غير الله ولياً(١).

- والإشارة " ذَلِكُمُ" لتمييز المشار إليه ، وهو المفهوم من " فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ"، وهذا التمييز لإبطال التباس ماهية الإلهية والربوبية على المشركين ؛ إذ سموا الأصنام آلهة وأرباباً ، وأوثر اسم الإشارة الذي يستعمل للبعيد لقصد التعظيم بالبعد الاعتباري اللازم للسمو وشرف القدر، أي ذلكم الله العظيم، ويتوصل من ذلك إلى تعظيم حكمه، فالمعنى: الله العظيم في حكمه هو ربي الذي توكلت عليه فهو كافيني منكم(٢).

---

(١) انظر/ مفاتيح الغيب ٥٨١/٢٧ .

(٢) التحرير والتنوير ٢٥ / ٤٢ .

– والفرق في الصيغة بين قوله تعالى : "عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ " بالماضي ، وقوله تعالى : " وَإِلَيْهِ أُنِيبُ "، بالمضارع ؛ للتعبير عن ارتباط التوكل بالماضي والذي يدل على تحصيل عقدي ، ابتدأ حدوثه ، واستقر ، وتمكن ، وتحقق؛ لأنه عمل قلبي يبتدئه المرء ويعيش به ، ومجيء فعل "أنيب" على صيغة المضارعة دلالة على تجدد هذا الفعل السلوكي لدى المؤمن بتجدد شعوره بالتقصير في جنب الله تبارك وتعالى، ما يوحي باحتياج المؤمن الدائم لتجديد التوبة دائماً .

١٠–قوله تبارك وتعالى: [فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ]الشورى ١١ ، أى هو خالقهما وموجدهما على غير مثال سابق، ثم أردف الحق – تبارك وتعالى– هذا بقوله : [لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ] تذييلاً لما سبق في الآية الكريمة ، ولهذا التذييل قيمة تفسيرية عليا تتمثل فيما يلي:

– تذييل عام على سبيل المثل العام ، وغرضه الاحتراس ودفع التوهم عن الله تبارك وتعالى .

– ذكر – تبارك وتعالى– في مطلع الآية خلقه للسماوات والأرض ، فكانتا كالزوجين ، ثم فصل القول في حق بقية المخلوقين ، ففي جانب البشر أشار إلى قيامهم على طبيعة الزوجية ، ثم أردف حديثه عن الأنعام بكونهم جميعاً أزواجاً، فكان في ذلك سرد لتفاصيل الكون من حول المخاطبين ، فكان ممكناً أن تشرد أذهان البعض بأن طبيعة الزوجية قد تلتبس بطبيعة الإله الفرد الصمد، فقطع الله – تبارك وتعالى – هذا التوهم عن تصورات المؤمني ، كي تنضبط تصوراتهم في حق الخالق بالتصور الصحيح عن الله ، بإثبات صفات السلوب عما ينتقص من حقه كإله فجاء قوله : [لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ] ضابطاً هذا التصور بالميزان الصحيح ، ولذا قيل : كل ما خطر ببالك فالله ليس كذلك ؛ منعاً عن تشبيه الله –تبارك وتعالى– بشيء من المحدثات.

– وتنكير كلمة شيء في سياق مماثلته تعالى لأي شيء يفيد العموم في هذا النفي ، فكل ما سوى الله يدخل في نطاق الشيء ، فنفى – تبارك وتعالى– عن ذاته مماثلة ومشابهة أيٍّ من المخلوقين.

– ولما أفاد قوله: ليس كمثله شيء صفات السلوب أعقبه بإثبات صفة العلم لله –تعالى– وهي من الصفات المعنوية وذلك بوصفه بـ السميع البصير الدالين على تعلق علمه بالموجودات من المسموعات والمبصرات تنبيهاً على أن نفي مماثلة الأشياء لله –تعالى– لا يتوهم منه أن الله منزه عن الاتصاف بما اتصفت به المخلوقات من أوصاف الكمال المعنوية كالحياة والعلم ولكن صفات المخلوقات لا تشبه صفاته تعالى في كمالها ؛ لأنها في المخلوقات عارضة، وهي واجبة لله –تعالى– في منتهى الكمال، فكونه تعالى سميعاً وبصيراً من جملة الصفات الداخلة تحت ظلال التأويل بالحمل على عموم قوله تعالى: ليس كمثله شيء فلم يقتضيا جارحتين. وقد كان تعقيب قوله ذلك بهما شبيهاً بتعقيب المسألة بمثالها(١).

١١–قوله تعالى: [لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ] الشورى ١٢ ، خبر – أيضاً– عن الضمير في قوله: [وهو على كل شيء قدير] [الشورى: ٩] وموقع هذه الجملة كموقع التي قبلها تتنزل منزلة النتيجة لما تقدمها، لأنه إذا ثبت أن الله هو الولي وما تضمنته الجمل بعدها إلى قوله: [يذرؤكم] فيه [الشورى: ١١] من انفراده بالخلق، ثبت أنه المنفرد– تبارك وتعالى– بالرزق ، وقوله تعالى:[إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ] ورد تذييلاً للآية الشريفة وقيمته التفسيرية تتضح مما يلي:

–ورد هذا التذييل على سبيل العموم فيما يخص علم الله –تعالى– بكل شيء، وغرضه تقرير وتعميم المعنى على سبيل المثل.

---

(١) التحرير والتنوير ٢٥/ ٤٨ ، مفاتيح الغيب ٥٨٦/٢٥ .

– لما ذكر – تبارك وتعالى– تصريفه لجميع الأمور في هذا الكون بقوله: [لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ]، ثم أردف ذلك بحديثه عن تصريفه وتدبيره أمور العباد فيما يخص قضية الرزق خاصة بالبسط والقبض ، كأن توهماً قد يصيب البعض أنه لا يملك من تصريف تفاصيل الكون إلا أمر الرزق ؛ **فجاء التذييل الكريم دافعاً هذا التوهم** ، بأنه – تبارك وتعالى– يعلم كل شيء في كل أمر من الأمور .

– جاءت الصياغة اللغوية محكمة في تحمل هذه المعاني ، فجاء التذيل مؤكداً بإنَّ ، وتقديم الجر والمجرور للفظ العموم ما يفيد الشمول ، وجملة إنه بكل شيء عليم استئناف بياني كالعلة لقوله: لمن يشاء، أي أن مشيئته جارية على حسب علمه بما يناسب أحوال المرزوقين من بسط أو قدر(١).

١٢–قوله تعالى: [فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ] ورد قوله : [وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ] تذييلاً للآية الكريمة على سبيل العموم، أي مصير كل المخلوقين إليه على السواء ، وتتضح قيمته بما يلي:

–لما ذكر – سبحانه وتعالى– توجيهه للنبي الخاتم بالدعوة إلى الوحي الذي أوحاه إليه والاستقامة على طريق الإيمان الذي شرعه – تبارك وتعالى – إليه وإلى أنبيائه السابقين على مر تاريخ دعوة الإسلام أتبع الحق – تبارك وتعالى – هذا التوجيه بضرورة البعد عن اتباع أهواء المنحرفين عن هدي الإسلام ما أنتج حالةً من الجدل بين أتباع الحق ، وأتباع الأهواء ؛ لذا ناسب ذلك أن يذكر أمراً –غاية في الأهمية– يجب ألا يغيب عن أذهان أهل الحق وهو تفويض أمر الحساب والتحاكم إلى من يعلم الحق ، وكلٌّ يدعي اتباعاً له ، فناسب ذلك أن يأتي التذييل

(١) التحرير والتنوير ٤٩/٢٥ ، الألوسي ٢١/١٣ .

بإيضاح حتمية صيرورة الجميع إليه تبارك وتعالى ؛ كقوله: [وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ] غافر ٤٣ .

–وجملة وإليه المصير عطف على جملة يجمع بيننا ، والتعريف في المصير للاستغراق، أي مصير الناس كلهم، فبذلك كانت الجملة تذييلاً بما فيها من العموم، أي مصيرنا ومصيركم ومصير الخلق كلهم(١) غض ذلك هو تعميم المعنى على سبيل المثل.

١٣–قوله تبارك وتعالى: [وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ] الشورى ١٦، عن مجاهد أنه قال: الذين يحاجون في الله رجال طمعوا أن تعود الجاهلية بعد ما دخل الناس في الإسلام (٢) .

–قوله تبارك وتعالى: [وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ] تذييل لبيان مصير أولئك الذين يحرصون على فتنة المستجيبين لدين الحق ، فبين – تبارك وتعالى– أن لهم عذاباً شديداً في الآخرة ، وتتضح القيمة التفسيرية لهذا التذييل فيما يلي :

–تقديم الجار والمجرور يدل على تخصيصهم بهذا العذاب ، كأنه قصره عليهم .

-تنكير كلمة (عَذَابٌ) في هذا الموضع للدلالة على **التهويل** لما ينتظرهم من عذاب موصوف بهذا الوصف الشديد للتهديد ، لعلهم يتوبون إلى الله ويتركون سبيل فتنة المؤمنين ، كما قال الله تعالى: [إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ] البروج ١٠.

١٤–قوله تبارك تعالى: [اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزانَ وَما يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ] الشورى ١٧، لما ذكر الحق – تبارك وتعالى– في الآيات

(١) انظر/ التحرير والتنوير ٢٥/ ٦٤ ، أبو السعود ٨/ ٢٨ ، مفاتيح الغيب ٥٨٩/٢٧ .
(٢) التحرير والتنوير ٢٥/ ٦٥.

حال المشركين مع الدعوة ، طمأنه الله – تبارك وتعالى– بهذه الآية بأن يكل الأمر لله – تبارك وتعالى– الذي يعلم مآل هؤلاء في الدارين ؛ فهم في قبضته ، وختم الآية تطميناً للنبي – صلى الله عليه وسلم– بقوله: [وَما يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ] أي قد تدري يا محمد أن الساعة قريبة ، ولبيان القيمة التفسيرية لهذا التذييل يتضح مما يلي:

–التذييل من النوع العام ، غرضه **التقرير** ، ومناسبة التذييل لموضوع السورة، وهو الوحي، أنه – تبارك وتعالى– يذكر بمآل جميع المخلوقين ، وصيرورتهم إلى الله – تبارك وتعالى – وأنه مجازيهم ومكافئهم على اختيارهم الحر في هذه الدار وفق ما أنزله – تبارك وتعالى – بالحق والميزان ، فجاء التذييل كالدليل على الحقيقة التي قررتها السورة سابقاً ، وأكدتها الآية موضع التذييل.

–لما كانت النفوس مفطورة على طول الأمل تعلقاً بالبقاء في الدنيا ، وكان الموضع موضع استدلال على صدق ما جاء به الوحي ناسب ذلك أن يذكرهم بقرب الساعة التي يفصل فيها بين أهل الحق ، وأتباع الباطل .

–استخدام ما النافية للدلالة على التنبيه والتهيئة لما سيوضحه التذييل القرآني وهو قرب مجيء ساعة الحساب، ليكون ذلك تمهيداً للمعنى المطالب به النبي ومن بعده المؤمنون وهو: إن الساعة على جناح الإتيان فاتبع الكتاب وواظب على العدل واعمل بالشرع قبل أن يفاجئك اليوم الذي توزن فيه الأعمال ويوفى جزاؤها(١).

١٤–قوله تعالى: [يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ] الشورى ١٨، أي يستعجل بالساعة الذين لا يؤمنون بها على سبيل التعجيز والتحدي للنبي– صلى الله عليه وسلم– ، وأما الذين آمنوا بها فإنهم يخشونها

(١) الألوسي ١٣/٢٧ .

لعلمهم بحقيقتها وما يحدث فيها ، ثم ختم الآية بقوله تبارك وتعالى: [أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ] على سبيل التذييل. وتتضح القيمة التفسيرية لهذا التذييل بما يلي:

-هذا التذييل من نوع التذييل المقيد بسياقه ، غير الجاري مجرى المثل ، الغرض من هذا التذييل بجانب التوكيد ، وبيان مآل هؤلاء المكذبين بالساعة، هو **الذم والتشنيع** على هؤلاء الكافرين ، وافتتاح الآية بحرف التنبيه " أَلَا " للتنبيه للعناية بما سيرد من كلام ، والتوكيد ، والمبالغة.

-هذا التذييل جاء مؤكَداً بأكثر من وسيلة بلاغية للتوكيد: افتتاح الآية بأداة التنبيه ، واستخدام أداة التوكيد إنَّ ، مع استخدام اللام في قوله : " لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ" تدليلاً على خطورة ما يقوم به هؤلاء المنكرون على مصيرهم.

-استخدام صيغة المضارع في قوله – تعالى- " يُمَارُونَ" فيه إشارة إلى أن هذا الإنكار ليس مختصاً بالزمن الذي تنزل فيه القرآن راصداً تصاريف هؤلاء أمام الرسالة ، بل هو أمر مكرور على مر العصور في بيان لطبيعة مواجهة المشركين للدعوة في كل عصر، وأن كيدهم لا يتوقف في عصر دون عصر.

-الإتيان بصيغة التنكير في بيان مصير هؤلاء المنكرين في قوله: "لَفِي **ضَلَالٍ** بَعِيدٍ" يدل على **التهويل** لهذا الضلال حتى إنهم بتصرفاتهم تلك قد قطعوا على أنفسهم خط الرجعة منه ،كما قال ابن عطية في تفسيره: "ثم استفتح الإخبار عن الممارين في الساعة بأنهم في ضلال قد بعد بهم، فرجوعهم عنه صعب متعذر "(١).

---

(١) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٥/ ٣٢ ، المؤلف: أبو محمد عبد الحق ابن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) ، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.

-" الجملة تذييل لما قبلها **بصريحها وكنايتها** ؛ لأن صريحها إثبات الضلال للذين يكذبون بالساعة ، وكنايتها إثبات الهدى للذين يؤمنون بالساعة، وجعل الضلال كالظرف لهم تشبيهاً لتلبسهم بالضلال بوقوع بالمظروف في ظرفه، فحرف في للظرفية المجازية ، ووصف الضلال بالبعيد وصف مجازي، شبه الكفر بضلال السائر في طريق وهو يكون أشد إذا كان الطريق بعيداً، وذلك كناية عن عسر إرجاعه إلى المقصود(١).

١٥- قوله تعالى: [اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ]، الشورى ١٩ الآية، توطئة للحديث عن لطف الله – تبارك وتعالى – بعباده ، والذي أحد أوجهه الرزق ، وغيره من النعم ، وقوله تعالى: "وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ" تذييل لها حوى من الحكم التفسيرية العديد كما يلي:

-هذا التذييل من نوع التذييل الجاري مجرى المثل ، الغرض البلاغي المستفاد من التذييل بجانب التوكيد على صفة الله تبارك وتعالى:" اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبادِهِ" وبيان معالم هذا الوصف هو التمجيد لله – تبارك وتعالى–ويفيد **الاحتراس** من توهم أن لطفه عن عجز أو مصانعة، فإنه قويٌّ عزيزٌ لا يعجز ولا يصانع، أو عن توهم أن رزقه لمن يشاء عن شح أو قلة فإنه القوي(٢).

-لما ذكر –تبارك وتعالى– لطفه بعباده ، وفرّع على ذلك بقضية لها الأولوية في تفكير المخلوقين وهي قضية الرزق التي فرعها عن لطفه تبارك وتعالى، فجعلها مرتبطةً بالأخذ بالأسباب غير مرتبطة بالاعتقاد؛ ولذا ناسب ذلك أن يختم الآية بهذين الاسمين الجليلين: " وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ" ، بياناً أن عطاءه – تبارك وتعالى– ومنته ليست عن ضعف ، بل عن قوة ومنعة لا تغالَب ، فإنه قوي عزيز لا يعجز ولا يصانع، أو عن توهم أن رزقه لمن يشاء عن شح أو قلة فإنه القوي،

(١) انظر: التحرير والتنوير ٢٥/٧١ ، ٧٢

(٢) التحرير والتنوير ٢٥/ ٧٣ .

والقوي تنتفي عنه أسباب الشح، والعزيز ينتفي عنه سبب الفقر فرزقه لمن يشاء بما يشاء منوط لحكمة علمها في أحوال خلقه عامة وخاصة ، قال تعالى: [وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشاءُ] الشورى: ٢٧.

–والإخبار عن اسم الجلالة بالمسند المعرف باللام يفيد **معنى قصر القوة والعزة عليه تعالى**، وهو قصر الجنس للمبالغة لكماله فيه –تعالى– حتى كأن قوة غيره وعزة غيره عدمٌ أمام قوته وعزته [١].

١٦–قوله تعالى: [أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ] الشورى ٢١ ، الآية الكريمة تتناول فضح فظاعة شركهم بعروه عن الانتساب إلى الله، أي إن لم يكن مشروعاً من الإله الحق فهو مشروعٌ من الآلهة الباطلة وهي الشركاء ،وظاهر أن تلك الآلهة لا تصلح لتشريع دين لأنها لا تعقل ولا تتكلم، فتعين أن دين الشرك دين لا مستند له[٢]، وتتضح القيمة التفسيرية لهذا التذييل بما يلي:

–[وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ] من نوع التذييل المؤكد لما سبقه ، غير الجاري مجرى المثل بل المفهوم من السياق الوارد فيه ، وغرضه بجانب التوكيد لمعنى الآية قبله هو على **للزجر والتهديد** ، تنكير كلمة "عَذَابٌ أَلِيمٌ" ، ووصفها بـ أليم **للتهويل** والتخويف لعلهم ينزجروا ويتوبوا إلى الله تعالى القائل:[أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ] المائدة ٧٤

–جاء التذييل مؤكَّداً بأكثر من أداة توكيد بياناً لغرض ذلك التذييل ، ومن الناحية المعنوية أثبت أن العذاب الأليم غير معدّ إلا لأولئك المشركين ، وعليه فالمؤمنون بمفهوم المخالفة في نعيمٍ عظيمٍ ، والغرض منه هو تخصيص هذا العذاب لأولئك الظالمين بإسناده إليهم ، وتخصيصهم بلام الملكية لهذا العذاب .

---

(١) التحرير والتنوير ٧٣/٢٥.

(٢) السابق: ٢٥/ ٧٦ .

١٧-قوله تبارك وتعالى:[تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ]الشورى٢٢ ، والآية الشريفة مرتبطة ارتباطاً توضيحياً بما قبلها؛ وختم الآية الكريمة بقوله تعالى: "ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ" أي هذا العطاء العظيم الذي رزقوه إنما هو محض تفضل الله – تعالى- عليهم ، ولهذا التذييل قيمة تفسيرية واضحة كما يلي:

-هذا التذييل من النوع المبين لما قبله المفهوم من السياق غير سائر مسرى المثل ، وغرضه بجانب البيان والتوضيح هو **الترغيب** ، **والتشويق** دفعاً للعمل لنيل هذا الفضل.

-لما عرضت الآية حال المؤمنين وهم يتمتعون في روضات الجنات ، وأردف ذلك بأن لهم ما يشاءون عند ربهم في بيان وجه آخر من وجوه المتاع المقيم للمؤمنين في الآخرة ، أبان -سبحانه- بهذا التذييل أن ما أعطيه هؤلاء إنما هو محض تفضل ربهم عليهم ، كما ورد في الحديث أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الجَنَّةَ ، قَالُوا: وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: " لاَ، وَلاَ أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَلاَ يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ المَوْتَ: إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَزْدَادَ خَيْرًا، وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعْتِبَ"(١).

-استخدام اسم الإشارة " ذَلِكَ" هو استخدام مجازي وليس على الحقيقة تعبيراً على أن هذا البعد بعد معنوي ، وليس بعداً مكانياً ؛ للتعبير عن الشرف ، والمكانة الرفيعة العالية.

---

(١) حديث صحيح رواه الإمام البخاري في صحيحه ١٢١/٧ برقم ٥٦٧٣ ، وانظر صحيح مسلم ٢١٦٩/٤ رقم ٢٨١٦ .

-" وضمير الفصل يفيد قصراً ادعائياً للمبالغة في أعظمية الفضل، والفضل يصلح لأن يعتبر كالمضاف إلى المفعول، أي فضل الله عليهم، وأن يعتبر كالمضاف إلى الفاعل فضلهم، أي شرفهم وبركتهم فيؤول معنى القصر إلى أن الفضل الذي حصل للذين آمنوا وعملوا الصالحات أكبر فضل(١).

١٧-قوله تعالى: [قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ] الشورى ٢٣ ، توجيه قرآني للنبي – صلى الله عليه وسلم- أن يرد على المشركين بهذا الرد ، ثم جاءت الجملة الثانية من الآية تذييلاً لما سبقها فقوله : " وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا" تذييل لجملة ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات والمعنى:وكلما عمل مؤمن حسنة زدناه حسناً من ذلك الفضل الكبير السابق ذكره(٢)، والقيمة التفسيرية لهذا التذييل تتضح مما يلي:

-نوع هذا التذييل ، يجري مجرى المثل، وغرضه بجانب التوكيد والتوضيح هو **التعليل والترغيب والتشويق** لفعل هذا الذي ترشد إليه الآيات وهو مودة قربى وأهل البيت النبي صلى الله عليه وسلم.

-الآية امتداد لما ختمت به الآية السابقة وهو التذييل بياناً لعظيم فضل الله – تبارك وتعالى- على المؤمنين ، وهو أن من فعل حسنة كافأه الله -تعالى- بزيادة الخير عما قدم ، كما أن استخدام أسلوب الشرط فيه التحريض على فعل ما أرشدت إليه الآيات.

-بيان هذا التذييل أحد أوجه التقرب لله -تعالى- وأنه بالأعمال القلبية الخاصة بموالاة المؤمنين عامة ، ومودة أهل بيت الحبيب صلى الله عليه وسلم، **مع دفع توهم ما قد يتسلل لنفس بعض من يفهم مطلع الآية على غير وجهها،**

---

(١) التحرير والتنوير ٨٠/٢٥ .

(٢) السابق: ٨٤/٢٥ .

فقد يفهم بعضهم أن مودة القربى التي استثناها النبي – صلى الله عليه وسلم–هو وجهٌ من أوجه الأجر الذي يقبله النبي – صلى الله عليه وسلم– فجاء هذا التذييل ليزيل هذا التوهم من الفهم " والاستثناء منقطع ، ومعناه نفي الأجر أصلاً ؛ لأن ثمرة مودتهم عائدة إليهم، لكونها سبب نجاتهم فلا تصلح أن تكون أجراً له [١].

–أفاد قوله" نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا" الزيادة في الحسن مراعاة لأصل الاشتقاق[حسنة] فكان ذكر الحسن من الجناس المعبر عنه بجناس **الاشتقاق** نحو قوله تعالى: **[فأقم** وجهك للدين **القيم**] الروم: ٤٣ ، وصار المعنى نزد له فيها حسناً مماثلاً لها ، ويتعين أن الزيادة فيها زيادة من غير عمله ، ولا تكون الزيادة بعمل يعمله غيره لأنها تصير عملاً يستحق الزيادة أيضاً ؛ فلا تنتهي الزيادة فتعين أن المراد الزيادة في جزاء أمثالها عند الله[٢].

١٨–قوله تعالى: [إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ] جاء تذييلاً للآية الكريمة :[قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا] ، ولبيان القيمة التفسيرية لهذا التذييل يتضح مما يلي:

–التذييل من نوع المفهوم من السياق **غير جارٍ مجرى المثل** ، وغرضه بجانب البيان والتوضيح والتوكيد هو **التعليل** .

– لما ذكر الحق – تبارك وتعالى–في الآية أن من يعمل حسنة يكافأ بأحسن منها ، وسكت – تبارك وتعالى– عن بيان جزاء من يقصر ، ناسب ذلك أن يدعو الحق – تبارك وتعالى– المقصرين إلى التوبة والعودة عن هذا التقصير في حق

(١) انظر: محاسن التأويل ٨/ ٣٦٣ ،المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ) ، المحقق: محمد باسل عيون السود ، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.

(٢) التحرير والتنوير ٢٥/ ٨٥ .

الله –تعالى– فذكرهم بوصفه – تبارك وتعالى– بمغفرته الواسعة دعوة لهم إلى الإنابة والرجوع ، والندم على ما فات من معاصٍ.

– والمعنى أنه – تعالى – يحسن إلى المطيعين في إيصال الثواب إليهم وفي أن يزيد عليه أنواعًا كثيرة من التفضيل[1] ، ولمناسبة ذكره – تبارك وتعالى – كريم عطائه على المحسنين ذكر وصف ذاته بـ " شكور" ؛ دعوة للمؤمنين أن يتعلموا الأدب مع ربهم – تبارك وتعالى – فيشكروه على ما وفقهم إليه من الطاعة – مع اعتقادهم ويقينهم أنه – تبارك وتعالى – هو أهل الشكر كله ، وتوكيداً على أن الحسنة التي وفقهم الله –تعالى– إليها هي أحد أوجه إنعامه – تبارك وتعالى– عليهم، فيزدادون عبودية إلى عبوديتهم بزيادة شكرهم لمن أنعم عليهم في البدأ بالتوفيق للحسنة ، ثم أنعم عليهم بإعانتهم على القيام بها، ثم في الخاتمة زادهم إحساناً إلى إحسانهم ، وحسّن لهم حسناتهم ، فظلوا في ترقٍ دائم من حسنةٍ إلى أحسن منها.

١٩–قوله تبارك وتعالى: [أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ] الشورى ٢٤، الآية الكريمة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بموضوع السورة الكريمة وهو أمر الوحي والرسالة ، حيث قرر الحق –تعالى– سنته في حسم قضية الصراع بين الحق والباطل دائماً لتنتهي لصالح الحق ، فسنته – تعالى– هي محو الباطل وتثبيت الحق ، وإحقاقه ، ثم ذيلت الآية بقوله تعالى: [إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ]، وهذا التذييل له قيمة تفسيرية واضحة كما يلي: –هذا التذييل من النوع المفهوم في سياقه غير الجاري مجرى المثل، وعرضه بجانب التوضيح والتوكيد هو التعليل مناسبة هذا التذييل للآية الوارد تذييلاً لها أنه – تبارك وتعالى – لما ذكر ما يكيده هؤلاء المشركون ضد الوحي والرسالة بإطلاق الافتراءات على الوحي ، والموحى

---

(١) مفاتيح الغيب ٥٩٦/٢٧ .

إليه ، وكان مصدر هذه الشائعات ، هو القلب المريض ، ومحل تصديقها هو القلب العليل لذا ناسب أن يأتي قوله –تعالى– : [إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ]؛ **تعليلاً** لمجموع جملتي فإن يشإ الله ... إلى قوله: بكلماته، أي لأنه لا يخفى عليه افتراء مفتر ولا صدق محق ، و(بِذَاتِ الصُّدُورِ) :النوايا والمقاصد التي يضمرها الناس في عقولهم ، والصدور: العقول، أطلق عليها الصدور على الاستعمال العربي المعهود[١] ، وهذا التذييل يشير إلى محل إطلاق الشائعات ، ومحل تلقيها وتصديقها ، وأنها القلوب العليلة التي أشربت الفتنة.

–لما عرض الله –تبارك وتعالى– أمر افتراءاتهم في أمر الوحي على سبيل القضية الجدلية ، وأراد أن يحاجيهم فيها ناسب ذلك أن قال :إنه عليم بذات الصدور أي إن الله عليم بما في صدرك وصدورهم فيجري الأمر على حسب ذلك، وعن قتادة يختم على قلبك ينسيك القرآن ويقطع عنك الوحي، بمعنى لو افترى على الله الكذب لفعل الله به ذلك[٢].

٢٠–قوله تعالى: [وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ] الشورى ٢٥ ، قال الألوسي – رحمه الله :" وَيَعْلَمُ إلخ تذييل للكلام السابق يؤكد ما ذكره – أي قبل ذلك – من القبول والعفو ؛ لأنه –تعالى– إذا علم العملين والعاملين جازى كلاً بما فعل ؛ فأولى أن يجازي هؤلاء المحسنين بأفعالهم، ثم فيه لطفٌ وحثٌّ على لزوم الحذر منه –تعالى– والإخلاص له – سبحانه– في إمحاض التوبة وهو تذييل فيه تأكيد لمعنى الآية الكريمة[٣].

٢١–قوله تعالى: [وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ] الشورى٢٥، وتتضح القيمة التفسيرية لهذا التذييل بما يلي:

---

(١) التحرير والتنوير ٨٨/٢٥ .
(٢) مفاتيح الغيب ٢٧/ ٥٩٧ .
(٣) انظر: تفسير الألوسي ٣٤/١٣ .

-قال الشيخ الطاهر بن عاشور رحمه الله : وردت هذه الآية **موردا كلياً، أي أن هذا التذييل يجري مجرى المثل العام** ؛ لأن قوله لعباده يعم جميع العباد، ومن هذه الكلية تحصل فائدة المسئول عليه الجزئي الخاص بالمؤمنين مع إفادة الحكمة العامة من هذا النظام التكويني، فكانت هذه الجملة بهذا الاعتبار بمنزلة التذييل لما فيها من العموم، أي أن الله أسس نظام هذا العالم على قوانين عامة وليس من حكمته أن يخص أولياءه وحزبه بنظام تكويني دنيوي ، ولكنه خصهم بمعاني القرب والرضا والفوز في الحياة الأبدية ،وربما خصهم بما أراد تخصيصهم به مما يرجع إلى إقامة الحق(١) .

٢٢- وجاء قوله تبارك وتعالى: [إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ]تذييلاً للآية الكريمة، وهو يحوي من نفائس التفسير ما يلي:

-هذا التذييل جارٍ مجرى المثل العام ، وغرضه هو **التعليل والاستدراك والاحتراس.**

-تقديم الجار والمجرور - شبه الجملة - على خبر إن للدلالة على التخصيص والعناية ، وإضافتهم إليه إضافة تشريف وتكريم ، وكأن في ذلك الرد والعوض عن جعله بعضاً من المؤمنين على حالة من قبض الرزق دون بسطها في الدنيا ؛ لئلا يجعل الحق -تعالى- الغنى وما لحق به من مظاهر فارغة هي معيار الصلاح أو القبول عند الله تعالى ، لكن لما تحدث عن عباده أضافهم إليه إضافة تشريف وتكريم .

-والجمع بين الاسمين [خَبِيرٌ بَصِيرٌ] "والجمع بين وصفي خبير وبصير ؛ لأن وصف خبير دالٌّ على العلم بمصالح العباد وأحوالهم قبل تقديرها وتقدير

(١) انظر: التحرير والتنوير ٩٢/٢٥ ، ٩٣ .

أسبابها، أي العلم بما سيكون، ووصف بصير دال على العلم المتعلق بأحوالهم التي حصلت وفرق بين التعلقين للعلم الإلهي(١).

٢٣-قوله تبارك وتعالى: [وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ] الشورى٢٨ ، في هذه الآية عرضٌ لوجه آخر من وجوه منته وكرمه، وهو إنزاله المطر الغزير الذي به يغيث البلاد والعباد، بعدما انقطع عنهم مدةً ظنوا أنه لا يأتيهم، وأيسوا وعملوا لذلك الجدب أعمالاً فينزل الله الغيث ،"وَيَنْشُرُ" به "رَحْمَتَهُ" من إخراج الأقوات للآدميين وبهائمهم، فيقع عندهم موقعاً عظيماً، ويستبشرون بذلك ويفرحون (٢).

-والتذييل الوارد في الآية قوله تعالى: [وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ] حوى معانى تفسيرية بديعةً كما يلي:

-هذا التذييل من النوع الذي يفهم من السياق الوارد فيه ، غير جارٍ مجرى المثل العام ، غرضه بجانب البيان والتوكيد ، **التعظيم والإرشاد.**

-لما ذكر - سبحانه وتعالى- منته الكبرى في إنزال الغيث على جميع المخلوقين ، وإنزال الغيث هو أحد أوجه عناية الخالق بمخلوقيه ناسب أن تذيل الآية باسمه -تعالى- **الولي** .

-ولما ذكر الحق -تبارك وتعالى- نشره الرحمة بين العباد بعد أن أوشكوا على الهلاك كان ذلك مزيد رعاية يحمد - تبارك وتعالى عليها ؛ لذا فقد جاء ذكر صفتي "الولي الحميد" دون غيرهما لمناسبتهما للإغاثة لأن الولي يحسن إلى مواليه والحميد يعطي ما يحمد عليه (٣).

(١) انظر: التحرير والتنوير ٩٤/٢٥ ، ومفاتيح الغيب ٢٧/ ٥٩٩ ، تفسير الألوسي ٣٩/١٣.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٧٥٨ ، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) ، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.

(٣) التحرير والتنوير ٩٦/٢٥ .

-واستخدام أسلوب القصر : [وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ] حوى بمفهوم المخالفة أن آلهتم المدعاة تفقد هذا الوصف المقتصر على من ينزل الغيث ، وينشر رحمته ، تعريضاً بعيب آلهتهم المدعاة ، ونعياً عليهم عبادة هؤلاء الجمادات تعطيلاً لحواسهم وعقولهم!!!

٢٤-قوله- تبارك وتعالى-: [وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ]الشورى٢٩، في هذه الآية الكريمة ذكر آيات الله – تبارك وتعالى- ودلائل ألوهيته من خلق السماوات بعظمهن، والأراضين بما فيهن ، وما نشر فيهما من مخلوقات عاقلة وغير عاقلة، ثم ختم الآية بقوله -تبارك وتعالى: [وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ] بياناً لقدرته تبارك وتعالى- على البعث ، وقد حوى هذا التذييل من النكات التفسيرية ما يلي:

-هذا التذييل **عام جاري مجرى المثل** ، وغرضه – بجانب البيان والتوكيد على قدرته -تبارك وتعالى- على البعث والمجازاة أفاد **المدح والتخصيص،** وترجيح إمكانية بعثه – تبارك وتعالى- لجميع المخلوقين ؛ استدلالاً بخلقه هذه المخلوقات أول مرة كما قال تبارك وتعالى: [قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ] يس ٣٤ .

-استخدام أسلوب القصر الإسنادي : وهو قدير على جمعهم إذا يشاء قدير يفيد **التخصيص** لهذا الفعل بمن لا يقدر عليه إلا الله تبارك وتعالى.

-لما جاء مطلع الآية متحدثاً عن آيات الله – تبارك وتعالى- الظاهرة للعيان أمام جميع المخلوقين من سماوات وأراضين ، وما فيهما من مخلوقات قد تبدو عظيمة أمام نظر الإنس والجن ، ما يفتح الباب أما البعض أن يستعيض بعظمة المخلوقين عن التفكر فيهما والتدبر وصولاً لعظمة وقدرة خالقم ، لذا **جاء التذييل مزيلاً هذا اللبس من نفوس البعض** ؛ فأثبت أن هذه المخلوقات على عظمتها

وجلالها وجلال ما فيها هن في قبضة القادر على كل شيء ، فجاء هذا التذييل **مزيلاً للإبهام من الأفهام.**

-جملة : [وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ] ، معترضة في جملة الاعتراض لإدماج إمكان البعث في عرض الاستدلال على عظيم قدرة الله وعلى تفرده بالإلهية(١).

٢٥-قوله تعالى: [وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ] الشورى٤٠ ، ذكر الله في هذه الآية، مراتب العقوبات بالنسبة للمؤمن مع المؤمن ، وأنها على ثلاث مراتب: عدل وفضل وظلم ، فمرتبة العدل، جزاء السيئة بسيئة مثلها، لا زيادة ولا نقص، فالنفس بالنفس، وكل جارحة بالجارحة المماثلة لها، والمال يضمن بمثله ، ومرتبة الفضل: العفو والإصلاح عن المسيء، ولهذا قال: [فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ] يجزيه أجراً عظيماً، وثواباً كثيراً، وشرط الله في العفو الإصلاح فيه، ليدل ذلك على أنه إذا كان الجاني لا يليق العفو عنه، وكانت المصلحة الشرعية تقتضي عقوبته، فإنه في هذه الحال لا يكون مأموراً به(٢).

-وقوله تعالى: [إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ] تذييل حوى من المعاني التفسيرية الكثير كما يلي :

-هو من نوع التذييل **العام الذي يجري مجرى المثل** ، وغرضه بجانب التوكيد للمعنى السابق في الآية الشريفة هو **التعليل.**

-أفاد التذييل بهذه الصياغة معنىً لفظياً ظاهراً ، وآخر معنوياً ، فاللفظي هو توكيد فقدان الظالمين محبة الله تبارك وتعالى، والمعنوي هو المفهوم من سياق

---

(١) التحرير والتنوير ٢٥/ ٩٨ .

(٢) تفسير السعدي ٧٦٠.

المخالفة، وهو أنه تبارك وتعالى يحب المؤمنين المقسطين المنضبطين بما وجه الله إليه في الآية الشريفة ، وهو العفو والصفح واحتساب الأجر على الله.

–لما كان مطلع الآية يبيح للمؤمنين الانتصار من المعتدين عليهم ، وكان من الممكن التجاوز في تطبيق هذا الحق ، ندب الله – تبارك وتعالى – المؤمنين للصفح والعفو عن من ارتكب في حقهم تعدياً شريطة أن يكون ذلك بين المؤمنين وبعضهم البعض ، ما يدفع لالتئام جروح المجتمع المسلم في معاملاته مع بعضه البعض ، لذا حرض الله المؤمنين على العفو ، وخوفهم – تبارك وتعالى– عاقبة التجاوز في الانتصار للنفس بأنه لا يحب الظالمين على سبيل استهجان التعدي ومجاوزة الحق .

٢٦–قوله تعالى: [إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ] الشورى ٤٢ ، بيان لما تم تفصيله قبل ذلك ، أي تتوجه الحجة بالعقوبة الشرعية: [عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ] وهذا شامل للظلم والبغي على الناس، في دمائهم وأموالهم وأعراضهم[١]، وجاء قوله تبارك وتعالى: [أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ] تذييلاً للآية الكريمة ، وتتضح قيمته بما يلي:

–هذا التذييل من نوع المفهوم من السياق ، وليس عاماً كالمثل ، وغرضه هو **التوكيد** لبيان مصير هؤلاء المذكورة صفاتهم وأفعالهم قبل في الآية ، على سبيل **التهديد ، والإنذار.**

–لما ذكر في الآيات السابقة مصير المؤمنين المنتصفين من ظالميهم، وأنهم غير معرّضين بحال من الأحوال للعقوبة لأن أفعالهم هي على سبيل الانتصار المشروع ، أبان في مطلع هذه الآية الكريمة من أن العقوبة متوجهة لمن يرتكبون الجنايات والجرائم في حقوق غيرهم ، وأكد مصيرهم وجزاءهم بهذا التذييل: [أُولَئِكَ

(١) تفسير السعدي ٧٦٠.

لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ] ، وجيء باسم الإشارة للتنبيه على أنهم أحرياء بما يذكر بعد اسم الإشارة لأجل ما ذكر قبله مع تمييزهم أكمل تمييز بهذا الوعيد(١)، وتقديم الجار والمجرور"لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ "يفيد **الاختصاص** ، وكأن هذا العذاب الأليم غير مخصص إلا لهؤلاء المذكورين والموصوفين سابقاً ، وتنكير كلمة عذاب ووصفه بالأليم لغرض التهويل والتهديد ، والإنذار .

٢٧–قوله تبارك وتعالى: [وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ] الشورى ٤٥، الآية الكريمة في وصف هيئة الظالمين لما رأوا العذاب يعرضون على النار، ثم ختم الآية الكريمة بقوله تعالى: [أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ]، وبيان قيمة هذا التذييل التفسيرية تتضح بما يلي:

–هذا التذييل جاء بلفظ **عام يجري مجرى المثل** ، وغرضه توكيد المعنى الذي سيق تذييلاً له ، بجانب ذلك هو التعريض بحال الظالمين ، وبيان أنهم في العذاب مقيمون لا ينفك عنهم العذاب ، ولا ينفكون هم عنه ؛ بياناً لهول ما هم فيه على سبيل **الإنذار والتهويل والتخويف** ،افتتاح التذييل بحرف الاستفتاح" أَلَا " دليل على الاهتمام بما سيرد بعده ، وغرضه التنبيه .

–هذا التذييل هو من كلام الحق – تبارك وتعالى – حكماً وقضاءً على بيان ما ينتظر الظالمين في آخرتهم ، وليست هذه الجملة من قول المؤمنين ؛ إذ لا قبل للمؤمنين بأن يحكموا هذا الحكم، على أن أسلوب افتتاحه يقتضي أنه كلام من بيده الحكم يوم القيامة وهو ملك يوم الدين، فهو كلام من جانب الله ، أي وهم مع الندم وذلك الذل والخزي بسماع ما يكرهون في عذابٍ مستمر .

---

(١) التحرير والتنوير ١٢١/٢٥ .

-ووصف العذاب بـ " مُقِيمٍ" على سبيل الاستعارة ؛ أي أنهم دائمون مقيمون في هذا العذاب دون تحول عنه أو خروج منه أبداً.

-وإعادة لفظ الظالمين إظهار في مقام الإضمار اقتضاه أن شأن التذييل أن يكون مستقل الدلالة على معناه لأنه كالمثل العام(١).

٢٨-قوله تبارك وتعالى: [وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ] الشورى ٤٦ ، أي ليس لهم أولياء ينصرونهم في الآخرة ، كما كانوا في الدنيا يمنون بذلك أنفسهم، ففي القيامة يتبين لهم ولغيرهم أن أسبابهم التي أملوها تقطعت ، وأنه حين جاءهم عذاب الله لم يدفع عنهم ، ثم ذيل الآية بقوله تعالى: [وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ] ، وتتضح قيمته التفسيرية بما يلي:

-نوع هذا التذييل جاء على سبيل **اللفظ العام الحاوي للمعنى الكثير ؛ الجاري مجرى المثل** ، وغرضه بجانب التوكيد والتوضيح للمعنى هو **التعليل** ، **والتهديد** .

-جاءت كلمة سبيل نكرة في سياق النفي ؛ فيعم كل سبيل مخلّص من الضلال ومن آثاره ، والمقصود هنا ابتداءً هو سبيل الفرار من العذاب المقيمين فيه كما يقتضيه السياق.

-لما جاء مطلع الآية نافياً أن يكون لهم ناصر ينصرهم من دون الله جاء هذا التذييل مزيلاً إشكالاً قد يلتبس في أفهام البعض أن هذا النفي مرتبط بالآخرة فحسب! **فجاء التذييل عاماً في شكل حكم عام أن من حقت عليهم الضلالة واختاروا سبيل الضلال قد انتفى عنهم التحصل على سبيل للهداية لا في الدنيا ولا في الآخرة.**

---

(١) التحرير والتنوير ٢٥/ ١٢٩ .

٢٩-قوله تبارك وتعالى: [لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ] الشورى ٤٩ ، ٥٠ ، الآيتان الكريمتان الآية الأولى فيها الإخبار عن سعة ملكه تعالى، ونفوذ تصرفه في الملك في الخلق كما يشاء، والتدبير لجميع الأمور، حتى إن تدبيره -تعالى- من عمومه، أنه يتناول الذرية المخلوقة عن الأسباب التي يباشرها العباد، فإن النكاح من الأسباب لولادة الأولاد، فالله -تعالى- هو الذي يعطيهم من الأولاد ما يشاء ، فمن الخلق من يهب له إناثاً، ومنهم من يهب له ذكوراً، ومنهم من يزوجه، أي: يجمع له ذكوراً وإناثاً، ومنهم من يجعله عقيماً لا يولد له [١]، ثم ختم الآيتين الكريمتين بتذييل: [إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ] وقد حوى هذا التذييل من المعاني التفسيرية ما يتضح فيما يلي:

- التذييل مما **لا يجري مجرى المثل وهو الذي يفهم من السياق** الوارد فيه ، وغرضه- بجانب التوكيد والبيان- **التعليل، والاحتراس.**

-لما جمع بين وصفي العلم والقدرة تعين أن هنالك صفة مطوية وهي الإرادة لأنه إنما تتعلق قدرته بعد تعلق إرادته بالكائن ، وتفصيل المعنى: أنه عليم بالأسباب والقوى والمؤثرات التي وضعها في العوالم، وبتوافق آثار بعضها وتخالف بعض، وكيف تتكون الكائنات على نحو ما قدر لها من الأوضاع، وكيف تتظاهر فتأتي الآثار على نسقٍ واحد، وتتمانع فينقص تأثير بعضها في آثاره بسبب ممانعة مؤثرات أخرى، وكل ذلك من مظاهر علمه تعالى في أصل التكوين العالمي ومظاهر قدرته في الجري على وفاق علمه[٢].

-ولما ذكر - تبارك وتعالى- جعله - عزوجل شأنه - بعض عباده عقيماً ناسب ذلك أن يذيل الآية بالعلم والقدرة ؛ إذ تقديره العقم على بعض عباده ليس

(١) تفسير السعدي ٧٦٢ .

(٢) التحرير والتنوير ٢٥/ ١٣٨.

عن عجزٍ لديه – تبارك وتعالى– أو عن جهلٍ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، بل هذا التقدير كان عن علم كامل ، وقدرة تامة ، ختم الآية بقوله إنه عليم قدير قال ابن عباس عليم بما خلق قدير على ما يشاء أن يخلقه والله أعلم[1]، وذلك تعليلاً لفعله ودفعاً عن توهم قد يتطرق لبعض العقول .

٣٠–قوله –تبارك وتعالى–: [وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ]الشورى ٥١، الآية الكريمة تتحدث عن صور تنزل الوحي الإلهي في صورة من ثلاثة :

–إما أن يكلمه الله وحياً بأن يلقي الوحي في قلب الرسول، من غير إرسال ملك، ولا مخاطبة منه شفاهاً.

–أو يكلمه شفاهاً، لكن من وراء حجاب، كما حصل لموسى بن عمران، كليم الرحمن.

–أو يكلمه الله بواسطة الرسول الملكي، فيرسل رسولاً كجبريل أو غيره من الملائكة ؛ فيوحي بإذنه أي: بإذن ربه، لا بمجرد هواه ما يشاءه الله تعالى.

–وقد ذُيلت الآية بقوله تبارك وتعالى: [إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ]، وقد جاء هذا التذييل حاوياً عدداً من القيم التفسيرية العظيمة كما يلي:

–هذا التذييل نوعه تذييل **غير جارٍ مجرى المثل** بل يفهم من سياقه الوارد فيه ، وغرضه بجانب توكيد المعنى هو تنزيه الحق تبارك وتعالى لذاته.

–مناسبة التذييل للآية : أوثر هنا صفة "العلي الحكيم" لمناسبتهما للغرض ؛ لأن العلو في صفة العلي علو عظمة فائقة لا تناسبها النفوس البشرية التي لم تحظ من جانب القدس بالتصفية فما كان لها أن تتلقى من الله مراده مباشرة فاقتضى علوه أن يكون توجيه خطابه إلى البشر بوسائط يفضي بعضها إلى بعض لأن ذلك كما يقول الحكماء: استفادة القابل من المبدأ تتوقف عن المناسبة

---

(١) انظر مفاتيح الغيب ٢٧/ ٦١١.

بينهما ، وأما وصف الحكيم فلأن معناه المتقن للصنع العالم بدقائقه وما خطابه البشر إلا لحكمة إصلاحهم ونظام عالمهم، وما وقوعه على تلك الكيفيات الثلاث إلا من أثر الحكمة لتيسير تلقي خطابه، ووعيه دون اختلال فيه ولا خروج عن طاقة المتلقين(١).

٣١-قوله تعالى: [صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ] الشورى ٥٣، لما بين الحق - تبارك وتعالى- في الآية قبلها أن الله -تعالى- قد أوحى القرآن الكريم لنبيه ليكون حبل الهداية الإلهية لعباد الله - تبارك وتعالى، وأبان أن هذا القرآن يهدي الخلق ، وسبيل بيانه للناس هو تبليغ النبي إياهم فألبس نبيه صفة من صفات القرآن بقوله : وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم ، فجاءت هذه الآية الكريمة بياناً لهذا الصراط ، وأنه صراط الله - تبارك وتعالى- الذي له ما في السماوات وما في الأرض ، فجاء قوله تبارك وتعالى: [أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ] على **سبيل التذييل للسورة وللآية** ، وقد حوى من المعاني القيمة الكثير كما يلي:

-تذيل عام **بلفظ عام على سبيل المثل السائر** ، وغرضه بجانب **التوكيد والتوضيح حسن الختام،** فبين أن أمر من لا يقبل هذه التكاليف يرجع إلى الله - تعالى- أي إلى حيث لا حاكم سواه فيجازي كلاً منهم بما يستحقه من ثوابٍ أو عقاب (٢).

-افتتح هذا التذييل بحرف الافتتاح " أَلَا" لاسترعاء اهتمام المخاطبين بما سيرد من معانٍ، وتقديم الجار والمجرور - لفظ الجلالة - لإفادة الاختصاص ؛ أي الأمور في مجموعها لا تشذ عن هذا المصير وهو الصيرورة إلى الله -تبارك وتعالى- وحده الذي لا يبقى سواه.

---

(١) التحرير والتنوير ٢٥/ ١٥٠ ، مفاتيح الغيب ٢٧/ ٦١٤.

(٢) مفاتيح الغيب ٢٧/ ٦١٥ .

-والأمور: الشؤون والأحوال والحقائق وكل موجود من الذوات والمعاني، يعني كل الموجودات مصيرها إلى الله - تبارك وتعالى ، وفي ذلك بشارة للنبي والمؤمنين معه وهم في مكة بأن مآل هذا الدين إنما هو النصر والتمكين ، لأنه طالما كل الأمور صائرة لله تبارك وتعالى- دل ذلك على أن المستقبل لهذا الدين الذي جاء به هذا النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم.

**

الخاتمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وبعد هذه السياحة القصيرة في كتاب الله – تبارك وتعالى – في صحبة هذه السورة العظيمة من سوره الكريمة اتضح ما يلي :

١- القرآن الكريم هو كتاب الهداية الذي لفت أنظار المؤمنين منذ نزل لمصدره اليقيني أنه من عند الله تبارك وتعالى: [وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا]النساء ٨٢ .

٢- أبانت دراسة السورة عن طبيعة وحي الله تبارك وتعالى ، وأن ما نزل على النبي محمدٍ إنما جاء على سنن الله –تعالى– في وحيه إلى أنبيائه : [وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ] الشورى٥٢.

٣- تبين أن هذه السورة الكريمة جاءت في ترتيبها بين سورتي فصلت والزخرف على نسق بديع في الافتتاحية ، والموضوع الذي تتناوله هذه السور ، ثم في ختام كل سورة منهن ، فكان هذا وجهاً من أوجه إعجاز هذا الكتاب ، والذي اعتبره الرازي رحمه الله من أعظم مظاهر إعجازه .

٤- القضية التي عالجتها هذه السورة هي قضية الوحي وهي التي وجه إليها الطاعنون قدسية القرآن سهامهم ؛ فجاءت السورة ترد على هؤلاء بأقوى الأساليب ، وأعظم الردود العقلية والمنطقية.

٥- بدراسة هذا الفن البلاغي العظيم – التذييل – في هذه السورة يتضح مدى القيمة العظيمة للإعجاز القرآني .

٦- هذا الفن البلاغي العظيم يميط اللثام عن كثير من أوجه إعجاز الكتاب الحكيم ، لذا وجب على المهتمين بفهم هذا الكتابة وتدبرها دراسة هذه الظاهرة اللغوية العجيبة دراسة عميقة مستفيضة ؛ وصولاً لمعرفة أسرار هذه الظاهرة اللغوية في أقدس كتاب حفظ للعربية فصاحتها.

٧- تبين من خلال دراسة هذا الأسلوب البلاغي كيف أن المتجنين على إعجاز القرآن البلاغي بعيدون كل البعد عن الأسلوب العلمي في التقييم والنقاش.

٨- على المجامع العلمية الكبرى ، والمعاهد الأكاديمية العريقة أن تقوم بجمع ما كتب من دراسات خادمة للقرآن الكريم في جميع فروع البلاغة ؛ توفيراً للمصادر الرصينة للدراسات العلمية بين يدي الباحثين خدمة لكتاب الله تبارك وتعالى .

٩- وجوب إماطة الحجاب عن مثل هذه البحوث العلمية المتخصصة بين يدي الناشئة لأجل تعويض النقص الكبير في البيئة العلمية الحالية ، حتى يتسنى لطلبة العلم اكتساب المهارات اللغوية الداعمة لفهم القرآن الكريم وتدبره.

١٠- على الرغم من عشرات الآلاف من البحوث العلمية المتخصصة في ميدان فهم ودراسة القرآن الكريم ، فإن هذا الكتاب سيظل ملهماً لكل باحث، وموحياً لكل داعية بالجديد من أوجه العطاء العلمي كلٍ في ميدانه ؛ ليظل هذا الكتاب كما وصفه الله –تعالى– معطاءً عطاءً لا ينقطع كما قال الله تعالى: [وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ، صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ] الشورى ٥٢ ، ٥٣.

وبعد ... فهذا مما من الله – تعالى – به علي في النظر في هذه السورة الكريمة ؛ دراسةً لفن من فنون بلاغة الكتاب الكريم ، أسأل الله – تعالى– أن يجعلها في موازيننا يوم العرض عليه، [وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ] الصافات ١٨١ ،١٨٢.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،،

قائمة المراجع

*القرآن الكريم

١- الإتقان في علوم القرآن، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.

٢- الإيضاح في علوم البلاغة ، المؤلف: محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى: ٧٣٩هـ) ، المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي ، الناشر: دار الجيل – بيروت ، الطبعة: الثالثة.

٣- البحر المحيط في التفسير ، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) ، المحقق: صدقي محمد جميل ، الناشر: دار الفكر – بيروت ، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

٤- البيان في عدّ آي القرآن ، المؤلف: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ) ، المحقق: غانم قدوري الحمد ،الناشر: مركز المخطوطات والتراث – الكويت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٥- التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِع الصَّغِيرِ ، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: ١١٨٢هـ) ، المحقق: د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم ، الناشر: مكتبة دار السلام، الرياض ، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.

٦- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» ، المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) ، الناشر : الدار التونسية للنشر –

تونس ، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ ، عدد الأجزاء : ٣٠ (والجزء رقم ٨ في قسمين).

٧- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري ، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٨- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي ، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة ، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

٩- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، المؤلف: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ)، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط ، الناشر: دار القلم، دمشق .

١٠-الصناعتين ، المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ) ، المحقق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت، عام النشر: ١٤١٩ هـ

١١- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) ، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ .

١٢- المحكم والمحيط الأعظم ، المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ]، المحقق: عبد الحميد هنداوي ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .

١٣- المخصص،المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: ٤٥٨هـ) ، المحقق: خليل إبراهم جفال ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

١٤- المستدرك على الصحيحين ، المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ) ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠م.

١٥- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم = صحيح مسلم ، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٦- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ) ، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت .

١٧- الناسخ والمنسوخ ، المؤلف: أبو القاسم هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي البغدادي المقري (المتوفى: ٤١٠هـ) ، المحقق: زهير الشاويش ، محمد كنعان ، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ.

١٨- إعلام الموقعين عن رب العالمين ، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ، المتوفى: ٧٥١هـ) ، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩١م.

١٩- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) ، المحقق: محمد علي النجار ، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة .

٢٠- بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث،المؤلف: أبو محمد الحارث بن محمد بن داهر التميمي ، البغدادي الخصيب المعروف بابن أبي أسامة (المتوفى: ٢٨٢هـ) ، المنتقي: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان بن أبي بكر الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧ هـ) ، المحقق: د. حسين أحمد صالح الباكري.

٢١- بلاغة القرآن في تذييل الآيات، دراسة تأصيلية، أ.د أحمد محمد الشرقاوي، مجلة تدبر العدد الثاني ، السنة الأولى .

٢٢- تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) ، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ،الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

٢٣- تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) ، المؤلف: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ) ، المحقق: د. مجدي باسلوم ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٢٤- تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ) ، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٢٥- تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم ، المؤلف: محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحَمِيدي أبو عبد الله ابن أبي نصر (المتوفى: ٤٨٨هـ) ، المحقق: الدكتورة: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز ، الناشر: مكتبة السنة – القاهرة – مصر ، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ – ١٩٩٥.

٢٦- روح البيان ، المؤلف: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ) ، الناشر: دار الفكر – بيروت.

٢٧- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) ، المحقق: علي عبد الباري عطية ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

٢٨- سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ) ، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر.

٢٩- شرح سنن أبي داود ، المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ) ، المحقق: أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري ، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ -١٩٩٩ م.

٣٠- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ، المؤلف: أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين السبكي (المتوفى: ٧٧٣ هـ)، المحقق: الدكتور

عبد الحميد هنداوي ، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

٣١- فتح القدير ، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) ، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت ، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ.

٣٢- لسان العرب ، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) ، الناشر: دار صادر – بيروت ، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.

٣٣- مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِّوَرِ ، ويُسَمَّى: "المَقْصِدُ الأَسْمَى في مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِلمُسَمَّى"، المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ) ، دار النشر: مكتبة المعارف – الرياض ، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م.

٣٤-مسند الإمام أحمد بن حنبل ، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ابن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، بتحقيق: شعيب الأرنؤوط- عادل مرشد، وآخرين، الناشر: مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٣٥-مسند الشهاب، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون القضاعي المصري (المتوفى: ٤٥٤هـ) المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي ، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ - ١٩٨٦.

٣٦-معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي ، المؤلف : محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى :

٥١٠هـ) ، المحقق : عبد الرزاق المهدي ، الناشر : دار إحياء التراث العربي –بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ.

٣٧–نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٩/١ ، المؤلف: إبراهيم بن عمر ابن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ) ، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

* * *